الجمهـــورية الجزائريــة الديمقراطيـــة الشعبيــة
وزارة التعليـــم العالـــي و البحث العلمـــي
المركز الجامعي العقيد آكلي محند أولحاج بالبويرة
معهد اللغات و الأدب العربـــي
قسم اللغة العربية وآدابها

توظيف الضاد والظاء في القرآن الكريم
دراسة إحصائية - تحليلية -دلالية

مذكرة ليسانس في اللغة العربية و آدابها

إعداد الطالبتين:
زوبيري غمير
زوبيري فضيلة

إشراف الأستاذة
أ/ مصطفاي يمينة

السنة الجامعية **2009** / 2010

إلى من قال فيهما الرحمن﴿ و قَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ﴾

إلى والديّ العزيزين

إلى كل من علمني حرفا

إلى كل من أهداني عيوبي

إلى كل براعم البيت الصغير .

إلى كل صديقاتي وعمال المكتبة دون استثناء .

إلى إخوتي وأخواتي .

غميـــــــر

إلى شمعة حياتي التي أنارت طريقي بالدعاء

إلى من غمرتني بالعطف والحنان وجُعلت تحت قدميها الجِنان

إلى من حملتني وَهْناً ووضعتني وَهْناً

أمي الحنون حفظها الله

إلى كل أخواتي وإخوتي وأخص بالذكر الكتكوت إسلام

إلى كل صديقاتي

إلى الأساتذة وعمّال المكتبة

فضيلـــة

المقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمد عبده ورسوله أما بعد :

القرآن الكريم كتاب الله - تعالى - ومعجزة نَبِيّه الخالدة، يعتبر أرقى وأبلغ وأفصح كلام عربي بإجماع، وهذا أمر مسلم به عند الجميع .

وانطلاقًا مِن هذه المُسَلَّمَة، يمكن القول بِثِقة ويَقِين: إنَّ التَّوظيف القُرآني للعناصر اللُّغَويَّة، هو أفضل توظيف، وأصلح استعمال، وذلك على جميع المستويات اللُّغَويَّة المُتَعَدِّدة؛ صوتيًّا، وصرفيًّا، ونحويًّا، ودلاليًّا، وبَلاَغيًّا.

وقد كانت - ولا زالت - جهودُ العلماء والباحثين، تسعى إلى الكَشْف عن أسْرارِ هذا التَّوظيف الرَّاقي، وخصائص هذا الاستعمال البليغ، وعلى الرَّغم من كَثْرة هذه الجُهُود وتضافرها في تِبْيان أسرار الإعجاز القرآني، ومظاهره، وأَوْجه بَلاغته، إلاَّ أنَّها تبقى غيضًا من فيض، باعتبار القرآن لا تنقضي عجائبه، ولا تنفذ خزائنه، مما يجعل المجال مفتوحًا للبحث في هذه المواضيع، والخَوْض في هذه المسائل. ومن هذا المنطلق، يمكن القول بأنَّ البحث سيقوم على إضاءة بعض النِّقاط الخفيَّة في التَّوظيف القرآني لِحَرْفي الضاد و الظاء وأهمها:
- ما مظاهر توظيف حرفي الضاد والظاء في القرآن الكريم ؟

- ما التَّأثير الدلالي عند الخلط بين الحرفين في القرآن الكريم ؟

- هل يمكن لهذا التوظيف أن يُمَثِّلَ وجهًا من وجوه الإعجاز الصَّوتي في القرآن؟ هل هناك توزيع متساوي بينهما أم هناك تفاوت ؟ وأين يكمن هذا التفاوت ؟

ومِن خلال هذه الأسئلة أمكننا أن نصوغ إشكاليَّة البحث على النحو التالي:
ماهي نسبة توظيف حرف الضاد والظاء في القرآن الكريم , وما تأثير الخلط بينهما في دلالة المعنى, وما مدى التداخل والتقارب بين الحرفين؟

واتَّبَعْنا لِحَلِّ هذه الإشكاليَّة خطَّة تَتَكَوَّن من فصلين ، غير متداخلين, ولكنَّهما مُتَرَابِطين من حيث دراسة الحرفين فتناولْنَا لأجل هذا:

في الفصل الأول : الضاد والظاء في التُّراث العربي والحديث من حيث صفاتهما الصوتية ومميزاتهما . محاولين الجمع بين تحديد القدامى لصفة الحرفين باعتمادهم التذوق وبين ما توصل إليه المحدثين بأجهزتهم الحديثة ، كما تَنَاوَلْنا إشكاليَّة الضاد والظاء في التُّراث اللُّغوي، وذلك من حيث ظُهُورُ المشكلة وأصلها، وتطورها التاريخي، ومن حيثُ الحلولُ المُقْتَرَحة لها، والكُتُب المُؤَلَّفة في ذلك.

أما الفصل الثاني : وهو الجانب التَّطبيقي منَ البحث، فقد تَنَاوَلْنا فيه: مظاهر توظيف الحرفين ومستوياته، وبدأنا الدراسة من جانبٍ إحصائيٍّ تحليليٍّ، على المستوى الكمي الإجمالي والتفصيلي، من حيث السورُ والآياتُ والكلماتُ، وكانَ الإحصاء من الجانبِ الصوتيِّ كذلك ويَتَعَلَّق الأمر بإحصاء عدد الجذور لكل حرف و بِمَرْتبة الحرفين في الجَذْر أمَّا الجانب الدلالي، فتناولنا فيه فقط معاني الجذور المتعلقة بنظائر الضاد والظاء ، وخَتَمْنا الفصل بِتَحديد انعكاسات هذه الإشكاليَّة على مستوى القرآن الكريم منتقلين إلى الخاتمة حيث تم استخلاص عام، حَدَّدْنا فيه أهم النتائج المُتَوصل إليها.وبعض المقترحات لحل مشكلة الخلط بين الحرفين .

وقدِ اعْتَمَدْنا في كلِّ ذلك المنهجين التاريخي و الوصفي (إحصاء وتحليل) ، وقد تَجَلَّى المنهج التاريخي، في الفصل الأول للدراسة الحرفين بين القديم والحديث ، وكان الباقي من نصيب المنهج الوصفي ، الذي رأيناه مناسبًا لِمِثْل هذه الدراسة ، وذلك اعتمادًا على آليَّات هذا المنهج مِن استقراء، وإحصاءٍ، ومُوَازنة، وتحليل، واستنتاج، والْتَزَمْنا بذلك في معظم مباحث الدراسة.
وقد واجهتنا صعوبات في البحث أهمها ضيق الوقت و فَقْر المكتبة الجامعيَّة في الدِّراسات القُرآنيَّة الشَّاملة وكذا قلَّة الدِّراسات المُتَعَلِّقة بالمستوى الصَّوتي.

وإضافة إلى هذه الأسباب، هناك دافع حَفَّزَنا على اختيار هذا الموضوع ودراسته: وهو العمل على حل مشكلة الخلط بين الحرفين , وإبراز توظيف كل منهما في القرآن الكريم ومن أهم الكتب والمراجع التي إعتمدناها هي : علم الأصوات لكمال بشر, علم الصوت العربي في ضوء الدراسات الحديثة لقاسم بريسم , ومقال لعبد المنعم نجار في مجلة الأزهر.

و لا ننسى في الختام أن نَتَقَدَّمَ بِعَظيم الشُّكر القَلْبِي الخالص، أولاً للأستاذة المُشْرِفة الفاضلـة أ/ مصطفاي ، على صَبْرها الجميل والطويل على تَمَاطلنا وتأخرنا أحيانًا لِظُروفنا الخاصَّة التي واكبت إنجاز هذا البحث، ثم إلى كل مَن أعاننا من قريب، أو من بعيد، بقليل أو كثير ونرجو صادقين أن نكون ألممنا ولو بجزئ يعم بالفائدة والإفادة ، وبالله التوفيق.

الفصل الأول

الضّاد والظاء من الحروف العربية التي يكثر استعمالها في لغة العرب , بل أشار بعض علماء اللغة والأداء إلى أنّ الظّاء المعجمّة للعرب خاصّة, وقد كان العرب الأوائل يفرقون بينهما دون القياس لأنهم في عهد السليقة أو على قرب منها ولكن و بعد انتقال العرب من جزيرتهم وامتزاجهم بغيرهم , حصل خلط بين الضاد والظاء وهناك من العرب من كان يؤثر الظاء في نطقه, ولا يزال هذا إلى اليوم في جهات من العالم العربي ونحن في هذا الفصل بصدد عرض الحرفين من الوجهة الصّوتية والتاريخية .

I- صفات الضّـــــاد ومميزاته :

الحرف الخامس عشر في الترتيب الهجائي والسادس والعشرون في ترتيب الأبجدية العربية ويساوي عدديا الرقم ثمانمائة (800) في حساب الجمل .

وفي الترتيب الصوتي القديم يأتي حرف الضاد في الترتيب العاشر عند الخليل و عند ابن الجني أما في الترتيب الصوتي الحديث فهو في الترتيب الثاني عشر عند الطيب البكوش والعاشر عند علماء الصوتيات في مصر.[1] , وحرف الضاد من حروف المباني في الكلم العربي , وهو ليس من حروف التصريف , وليس من حروف المعاني , وهو من الحروف الشمسية التي تشدد في النطق, وتهمل قبلها لام التعريف نطقا لا كتابة.[2]

1- الضاد عند القدامى :

يذهب الخليل إلى أن الضـاد شجرية إذ جعلها من مخرج الجيم والشين : « ثم الجيم والشين والضاد في حيز واحد »[3] , و « الجيم والشين والضاد شجرية, لأن مبدأها من شجر الفم , أي مفرج الفم »[4]

1- سليمان قياض , استخدامات الحروف العربية (معجميا , صوتيا , صرفيا , نحويا، كتابيا), (د.ط) دار المريخ, الرياض, المملكة العربية السعودية, 1998م, ص 75.

2- ينظر: المرجع السابق , ص 75- 78.

3- الخليل , العين, ج1, تح: عبد الحميد هنداوي, ط1, دار الكتب العلمية, بيروت, 2003, ص 41.

والشجرية إشارة للأصوات التي تنتج في منطقة الحنك الصلب أو وسط الحنك , وقد أطلق بعض المحدثين على المنطقة التي تنتج فيها هذه الأصوات " الغار" [5]

أمّا سيبويه وابن جني فقد ميّزا بين نوعين من الضاد , الضاد الأصل والضاد الضعيفة, فأما الأولى فقد حددها سيبويه: « بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مُخرِج الضّاد»[6] وابن الجني يتفق مع سيبويه في ذلك , يقول« من أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مُخرِج الضّاد , إلاّ أنك إن شئت تكلفتها من الجانب الأيمن , وإن شئت من الجانب الأيسر»[7] .

أمّا من حيث مرور الهواء في أثناء نطقها , فقد صنفها سيبويه ضمن الأصوات الرخوة المجهورة , وتبعه ابن جني في هذا التصنيف حيث قال : « إلاّ أنك إن شئت تكلفتها من الجانب الأيمن , وإن شئت من الجانب الأيسر »

أما النوع الثاني وهو الضّاد الضعيفة, فقد وصفها كل من سيبويه وابن جني ضمن الحروف غير المستحسنة التي لا يؤخذ بها في القرآن الكريم , ولا في الشعر وهي :« الكاف التي بين الجيم والكاف, والجيم التي كالكاف, والجيم التي كالشين, والضاد الضعيفة ....»[8]

وقد شبهها سيبويه باللّام الجانبية في نطقها: « أنّ الضاد الضعيفة تتكلف من الجانب الأيمن وإن شئت تكلفتها من الجانب الأيسر, وهو أخف , لأنها من حافّة اللّسان مطبقة, لأنك جمعت في الضاد تكلف الإطباق مع إزالته عن موضعه, وإنمّا جاز هذا لأنها من حافّة اللّسان , وإنها تُخالط مخرج غيرها بعد خروجها, فتستطيل حين تُخالط حروف اللسان فَسَهُلَ تحويلها إلى الأيسر لأنها تصير في حافة اللسان في الأيسر مثل ما كانت في الأيمن , ثم تنسل من الأيسر حتى تتصل بحروف اللّسان كما كانت كذلك في الأيمن »[9]

ومن النصوص التي أوردناها لسيبويه وابن جني نستخلص ما يلي :

عند السيبويه الصنف الأول من الضاد (الضاد القوية) بمعزل عن الصنف الثاني (الضاد الضعيفة) , فقد حدد لكل منهما موضع نطق خاص بها , فالأولى أسنانية لثوية, والثانية جانبية متفشية.

في حين وصف ابن جني نطقيّن للضاد القوية, الأول يمكن تمثيله بأنه أسناني لثوي , والثاني جانبي وفيه تكلف, أمّا الضاد الضعيفة فقد صنفها لوحدها دون أن يحدد موضع نطقها أو طبيعة تيار الهواء معها.

حسب ابن جني هناك ثلاثة أحوال لنطق الضاد:

- الضاد القوية (أسنانية لثوية)
- الضاد الجانبية
- الضاد الضعيفة

في حين أشار سيبويه إلى نوعين من الضاد :

- الضاد القوية
- الضاد الضعيفة

---

[4]- السابق, ص 42.

[5]- قاسم بريسم, علم الصوت العربي في ضوء الدراسات الحديثة, ط1, دار الكنوز الأدبية, بيروت , 2005م ص 119.

[6]- سيبويه, الكتاب, ج2, تح:عبد السلام محمد هارون, ط2, دار الكتب العلمية, بيروت, 1982م , ص 432.

[7]- ابن جني , سر صناعة الإعراب , ج1, تح : حسن هنداوي , ط2, دار القلم, دمشق , 1993, ص 47.

[8]- سيبويه , الكتاب, ج2, ص 406.

[9]- السابق , ج4, ص 432 - 433.

عدّ سيبويه الضاد الضعيفة ضادا جانبية , في حين عدّها ابن جني – الضاد الجانبية – نوعا من الضاد القوية .[10]

ويذكر ابن الجزري أنّ الضاد « من أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس من الجانب الأيسر عند الأكثر ومن الأيمن عند الأقل »[11]

ويستفاد من اختلافهم في مكان نطقها أن نقطة إنتاجها لم تكن واحدة عند النطـق بها .

- ففريـق ينطق بها من شجر الفم .
- وفريـق ثان ينطق بها من الجانب الأيسر ويمثل هذا أكثر الناطقيـن.
- وفريـق ثالث ينتجها من الجانب الأيمـن .
- وفريـق رابع يخرجها من الجانبيـن

ومما يدل على اختلاف وصف القدامى لحرف الضاد هو اختلاف اللهجات ومما ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم وهو قرشي كان يخرجها من الجانبين.وروي عنه صلى الله عليه وسلم قوله « أنا أفصح من تكلم بالضاد» [12] .

ويشير ابن يعيش في شرح المفصّل إلى ذلك النوع الصوتي من الضاد والتي تخرج مختلطة بالظاء فيقول: « والضاد الضعيفة من لغة قوم اعتاصت عليهم , فربما أخرجوها طاء وذلك إنّهم يخرجونها من طرف اللسان وأطراف الثنايا, وربما راموا إخراجها من مخرجها, فلم يتأتّ لهم فخرجت بين الضاد والظاء » [13]

وقد شاعت هذه الصورة النطقية بين الناس في أواخر القرن الثالث هجري واستمرت إلى يومنا هذا. فالقدامى من علماء اللغة كانوا يعتمدون في تحديد مكان النطق للصوت ووصفه على الملاحظة الذاتية ، وهي لا تختلف كثيراً عما يراه المحدثون من علماء الأصوات – وهذا ما سنعرضه لاحقا- ، على الرغم من أنه لم تكن لديهم معامل وأجهزة خاصّة ، كما هو الحال . لذا فالاختلاف في تحديد مكان إنتاج صوت الضـاد لدى القدامى مرده إلى اختلاف الناطقين بهـا .

فالضاد في وصف القدامى صوت جانبي كاللاّم , لأنه من ظاهر كلامهم أنّ الضاد تخرج من أحد جانبي الفم أو من كليهما , لأن هواءها انحرافي , وقد كان الرواة يضربون مثلا لبلاغة عمر أنه كان يستطيع أن يخرج الضاد من أيّ شدقيه شاء.[14] وهذا ما ذهب إليه د/عمر المختار.

ويذكر أهل الأداء أن : « اللاّم مما بين حافتي اللسان معا بعد مخرج الضاد وما يحاذيها من اللثة » وحكى أبو حيان عن شيخه أنه يتأتى إخراجها من كلتا حافتي اللسان اليمنى واليسرى دفعة واحدة , إلاّ أن إخراجها من الحافّة اليمنى أمكن بخلاف الضاد فإنها من اليسرى أمكن .[15]

ولهذا القرب الشديد أبدلت الضاد لاما في بعض اللهجات , ومثال ذلك ما ورد في قول الشاعر مندور بن حبّة الأسدي في نصف بيت من قصيدة :

مال إلى أرطاة حقف فالطَجَعَ (أي فاضطجع)[16]

10- قاسم البريسم, علم الصوت العربي في ضوء الدراسات الحديثة , ص 172.
2- ابن الجزري , النشر في القراءات العشر, ج1, مراجعة : على محمد الضباع,(د.ط) , دار الكتب العلمية بيروت, (د. ت) , ص200.
12- عبد المنعم محمد عبد الغني النجار , العلاقة بين الضاد والظاء, مجلة الأزهر, الأعداد : 8,10,11 , مصر 1987م , ص 04.
13- ابن يعيش , شرح المفصل للزمخشري , ج5, ط1, دار الكتب العلمية , بيروت , 2001, ص 521.
14- كمال بشر, علم الأصوات ,(د.ط) , دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع, القاهرة , 2000م , ص 258.
15- عبد المنعم محمد عبد الغني النجار , العلاقة بين الضاد والظاء, ص 08.

16- جان كانيتو, دروس في علم أصوات العربية, تر: صالح القرمادي , نشريات مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية, تونس , 1966, ص 86.

وهذا الذي ذكره ابن الجزري في قوله : « والضاد انفرد بالاستطالة , وليس في الحروف ما يعسر على اللسان مثله, فإن ألسنة الناس فيه مختلفة , وقلّ من يحسنه, فمنهم من يخرجه ظاءً ومنهم من يمزجه بالذال , ومنهم من يجعله لاما مفخمة , ومنهم من يشمه بالزّاي كلّ ذلك لا يجوز »[17] , وهذا ما ذكره أبو الطيب اللغوي في كتابه الإبدال اللغوي .

والواقع أنها وإن كانت من منطقتها أو من منطقة قريبة جداً منها فلم تكن تنطق لاماً أو قريبة منها : ذلك أن الضـاد من ناحية رخوة ليس فيها انسداد في حين أن نطق اللام يقتضي إحكام الغلق في منطقة اتصال طرف اللسان باللثة ، ومن ناحية أخرى فإن الضـاد مطبقة ويقتضي الإطباق تفخيماً . في حيـن أن اللام في أكثـر حالاتهـا مرققـة . وفي هـذا يقول سيبويه : « لولا الإطباق لصارت الطاء دالا, والصاد سينا , والظاء ذالا, ولخرجت الضاد من الكلام لأنه ليس شيء من موضعها غيرها »[18]

وتوصف الضاد القديمة بصفة التفشي , وهي خاصية الشين, ولذا عدّها الخليل – كما ذكرنا سابقا- مع الجيم والشين في حيز واحد , وصفة التفشي تذهب إلى الرخاوة , أي الاحتكاكية يقول ابن جني :« وأمّا الضاد فلأن فيها طولا وتفشيا , فلو أدغمت في الطاء لذهب ما فيها من التفشي, فلم يجز ذلك, كما لم يجز إدغام حروف الصفير في الطاء ولا أختيها, ولا في الظاء ولا أختيها, لئلا يسلبنهن الإدغام ما فيهن من الصفير »[19]

وقد أدرك هذه الصفة الرخوة للضاد عند العرب كل من المستشرقين (شاده) و(براجشتراسر) فيقول " شاده" عن سيبويه أنّه : « عدّ من الحروف حرفا خرج منها بعد في كثير من اللهجات العربية , وهو الضاد , فإنها ليست الآن من الرخاوة إلاّ في لفظ من قال : ضرب مثلا و بضاد جانبية المخرج , وأما في النطق المعتاد في مصر , يعني بضاد مقدّمة المخرج , فقد لحقت فيه الشديدة »[20]ويقول براجشتراسر: أمّا« الضاد فهي الآن شديدة عند أكثر أهل المدن , وهي رخوة عند القدماء كما هي الآن عند أكثر البدو, ومع ذلك فليس لفظها البدوي الحاضر نفس لفظها العتيق لأن مخرج الضاد (عند القدامى) من حافة اللسان, ومن القدماء من يقول من جانبه الأيسر, ومنهم من يقول من الأيمن , ومنهم من يقول من كليهما , فمخرجها قريب من مخرج اللام , الذي هو أيضا من حافة اللسان , وذلك يدل على أن الضاد كانت تشبه اللام من بعض الوجوه , والفرق بينهما أن الضاد من الحروف المطبقة كالصاد, واللاّم غير مطبقة صوتية محضة , فالضاد العتيقة حرف غريب جدا, ...ونشأ نطق الضاد من هذا النطق البدوي بإعماد طرف اللسان على الفك الأعلى , بدل تقريبه منه فقط, فصار الحرف بذلك في نطقه شديدا بعد أن كان رخوا »[21]

فوصف الضاد بالتفشي , يعني أنها رخوة احتكاكية , إذ التفشي إنما يظهر مع هذه الأصوات ونموذجها الأشهر هو الشين , وقد ورد مثل هذا المعنى على لسان حفني ناصف في وصفه للضاد فيقول : « وفي الضاد تفش قليل ولذا عدّها بعضهم مع الشين »[22]

ويبدو على كل حال أنّ الضاد القديمة جمعت في نطقها بين الظاهرتين , ظاهرة خروج هوائها من جانبي الفم كاللام وظاهرة الاحتكاك, وبتطبيق هاتين الظاهرتين مضمومتين إلى نقطة نحس بصعوبة بالغة في نطق هذه الضاد , وقلما استطاع واحد منا أن يأتي بنطق مثالي يلائم ما قدّمه لها من خواص وسمات .

إضافة إلى صفة التفشي , وصف القدامى حرف الضاد بالاستطالة , وهذا ما ذهب إليه كل من سيبويه وابن الجزري , فعن ابن الجزري أنه قال : « والضاد انفرد بالاستطالة »[23] والاستطالة لا يتصف بها إلاّ صوت الضاد

---

17 - ابن الجزري , النشر في القراءات العشر, ج1, ص 219.
18 - سيبويه , الكتاب , ج4 , ص 480.
19 - ابن جني , سر صناعة الإعراب , ج 1 , ص 218.
20 - ينظر: رمضان عبد التواب, مشكلة الضاد العربية و تراث الضاد والظاء, مجلة المجمع العلمي العراقي مج21,ج2, ص03

21- رمضان عبد التواب , التطور النحوي للغة العربية (محاضرات ألقاها المستشرق الألماني براجستراسر) ط2, مكتبة الخانجي , القاهرة , 1993, ص 18- 19 .
22 - كمال بشر , علم الأصوات , ص 257.
23 - ابن الجزري , النشر في القراءات العشر , ج 1 , ص 219.

العربية الفصيحة , ولهذا لا توجد لها ترجمة في أيّ من المعاجم الصوتية , وحتى نفهم المراد بالاستطالة , لابد أن نذكر أن الضاد تخرج بالتحديد من الحافة الخلفية للسان مستطيلة مع محاذاة الأضراس العليا من أيسرها أو يمناها .[24]

والاستطالة استطالتان :

1- استطالة في المخرج : تعني أن يستطيل مخرج الضاد , حتى يتصل بمخرج اللام الجانبية [25] وذلك لما في صوت الضاد من القوة والإطباق والاستعلاء .[26]

2- استطالة في الصوت : تعني امتداد الصوت بحيث تكون الضاد أطول في المدى الزمني إذا قيست بغيرها من الصوّامت , ولكنها لا تبلغ قدر الحركة الطويلة , وصفة الاستطالة في الصوت ناتجة عن كون الضاد رخوة .[27]

بالإضافة إلى ما ذكر من صفات لحرف الضاد من تفشٍ واستطالة , يتصف هذا الحرف أيضا بالإطباق , وهذا ما أشار إليه سيبويه في قوله : « فلولا الإطباق لصارت الطاء دالا والصاد شينا , والظاء ذالا, ولخرجت الضاد من الكلام , لأنه ليس شيء من موضعها غيرها »[28] وتبعه في ذلك ابن جني .

والأحرف المطبقة هي : الصاد ، و**الضاد** ، والطاء ، و**الظاء** . ومعنى إطباقها أنك إذا وضعت لسانك في موضعهن انطبق لسانك من موضعهن إلى ما حاذى الحنك الأعلى من اللسان ترفعه إلى الحنك فإذا وضعت لسانك فالصوت محصور فيما بين اللسان والحنك إلى موضع الحرف[29]

ويعلل ابن الجزري لكونها مطبقة بأن (طائفة من اللسان تنطبق مع الريح إلى الحنك الأعلى عند النطق بها مع استعلائها في الفم) [30], وعلى هذا فإن مؤخر اللسان يرتفع مع الضاد والظاء نحو أقصى الحنك الأعلى آخذاً شكلاً مقعراً على حين طرفه مشتركاً مع عضو أخر في إخراج كل منهما[31] , ويوازن ابن الجزري بين أحرف الإطباق معللاً : فالطاء أقواها في الإطباق وأمكنها لجهرها وشدتها ، والظاء أضعفها في الإطباق لرخاوتها وانحرافها إلى طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا ، والصاد والضاد متوسطان في الإطباق[32]

ومهما يكن من أمر , فالمفهوم من جملة التراث اللغوي للعرب أن الضاد القديمة صوت احتكاكي جانبي , ليس له نظير من الأصوات من حيث موضع نطقه , إذا زال عنه الإطباق (التفخيم) لم يبق منه في العربية شيء كما ذهب إليه سيبويه ومن نحى نحوه.

2- الضاد عند المحدثين :

يصف المحدثون صوت الضاد المعاصر , بأنه صوت أسناني لثوي وانفجاري مجهور مفخم , ويتم نطق صوت الضاد بأن يلتصق طرف اللسان بأصول الأسنان العليا واللثة التصاقا تاما , يمنع مرور الهواء فترة من الزمن , ثم ما يلبث السدّ أن يزول فجأة محدثا انفجارا , وتقترب المسافة بين الوترين الصّوتيين اقترابا شديدا , يسمح بمرور الهواء, فيتذبذب الوتران الصوتيان ويخرج الصوت مجهورا وترتفع مؤخرة اللسان نحو الطبق , فتتسع غرفة الرنين ويخرج . الصوت مفخما , ويرتفع الطبق نحو الجدار الخلفي للحلق , فينسد التجويف الأنفي وينفتح التجويف الفموي , ويخرج هواء صوت الضاد من الفم .

---

[24] - صبري المتولي , دراسات في علم الأصوات , ط1 , زهراء الشرق و مصر, 2005م , ص 78.
[25] - السابق , ص 79.
[26] - ابن الجزري , النشر في القراءات العشر , ج 1 , ص 205.
[27] - صبري المتولي , دراسات في علم الأصوات , ص 101.
[28] - سيبويه , الكتاب , ج4 , ص 436.
[29]- السابق , نفس الصفحة.
[30] - ابن الجزري, التمهيد في علم التجويد, تح: علي حسين البواب , ط1, مكتبة المعارف, الرياض, 1985 م ص90.
[31] - إبراهيم أنيس ,الأصوات اللغوية , ط4, مكتبة الأنجلو المصرية , مصر , 1999 , ص 20.
[32] - السابق , ص 96.

ويلاحظ أن الضاد هو النظير المفخم للدّال , فليس بينهما اختلاف في المخرج والصفات إلاّ كون الضاد مفخمة والدّال مرققة .[33]

وهذا النطق للضاد قد اقتصر في الوقت الحاضر في نطق المختصّين وقرّاء القرآن , ووجدنا نطقا آخر للضاد في العالم العربي تمثل فيما يلي :

- يصف الدكتور ابراهيم أنيس الضاد أنها صوت ما بين الأسنان شبيه بالظاء :« فالضاد الحديثة صوت شديد مجهور يتحرك معه الوتران الصوتيان , ثم ينحبس الهواء عند التقاء طرف الثنايا العليا , فإذا انفصل اللسان عن أصول الثنايا سمعنا صوتا انفجاريا هو الضاد » [34]
- وقد ذكر جان كانتينو بأن « أكثر أنواع نطق الضاد في الفصحى شيوعا هو نطقها كالظاء , إذا كان في لهجة المتكلم حروف ما بين الأسنان وكالدّال المفخمة إذا انعدمت من لهجته الحروف »[35]

ان تطور صوت الضاد العربية أدى إلى ظهور عدّة تنوعات (ألفونات) اختلفت في مدى الشيوع والاستعمال , ويمكن تمييز ذلك من خلال :

- صوت ما بين الأسنان شبيه بالظاء , وهو أكثر أنواع فونيم الضاد شيوعا , حيث يظهر في الكثير من الأقطار العربية سواء المتكلمين بالفصحى أو اللهجات خاصّة في العراق ودول الخليج العربي ولهجات الحضر بشمال أفريقيا .
- صوت لثوي شبيه بالزاي , المُشوّب بالتفخيم , كما في لهجات مصر وسوريا والسودان.
- صوت جانبي مشابه إلى اللام الجانبية (الانحرافية) مع اختلافه عنه في التفخيم , ويظهر في لهجات حضرموت [36]

ويرى كانيتو أن نطق الضاد نطقا انحرافيا لا يزال موجودا في جوانب وجهات قليلة متناثرة منها اللهجة الاسبانية ولهجات جنوب الجزيرة العربية .[37] ويوافقه فيما ذهب إليه المستشرق (هنري فليش) حيث قال :« كان العرب بنطقهم الخاص لصوت الضاد , وهو عبارة عن صوت مفخم يُحتمل أنه كان ظاءً جانبية , أي أنّه كان يجمع الظاء واللّام في ظاهرة واحدة , وقد اختفى هذا الصوت فلم يعد يُسمع في العالم العربي , وأصبح بصفة عامّة , إمّا صوتا انفجاريا (وقفة انفجارية) هو مطبق الدال , وإمّا صوتا أسنانيا هو الظاء »[38]

أما الدكتور كمال بشر فيجد أن الضاد في النطق المعاصر هو : « صوت أسناني لثوي وقفة انفجارية مجهور مفخم (مطبق) »[39] وهو الصوت الذي يعتمده المتخصصون وقرّاء القرآن الكريم , وهو النظير المفخم للدّال , وهذا ما يتفق فيه مع إبراهيم أنيس , وله وظيفة مستقلة في النظام الصوتي , تختلف عن وظيفة نظيره الدّال (وغيره) كما يبدو ذلك واضحا نجو (ضل , ودل) [40]

هذا الصوت بكل هذه الوصوف النطقية – حسب كمال بشر – إمّا أنه أثر باق من الضاد القديمة أو هو تطور له , وإما أنه صوت الطاء الذي يتصف بالجهر , حيث أنه لا فرق بينهما إلاّ أن الضاد مجهور والطاء مهموس .

ففي نظر المحدثين , هذا الصوت هو الذي تنطبق عليه المقولة الشائعة " العربية لغة الضاد ' إذ لا وجود له حقيقيا في غيرها من اللغات , والقول بأن له أثر باق في بعض الكلمات الحبشية لا يبطل هذا الزعم , إذ لم يستطع أحد حتى الآن بيان حقيقة الأمر فيه في هذه اللغة , ولم يلق بمادة لغوية تكفي لحسبانه صوتا مستقلا نطقا ووظيفة .

---

33 - حسام البهنساوي , علم الأصوات , ط1, مكتبة الثقافة الدينية , القاهرة, 2004م , ص67- 68.
34 - إبراهيم أنيس ,الأصوات اللغوية , ص46.
35 - جان كانيتو, دروس في علم أصوات العربية, ص87.
36 - قاسم البريسم, علم الصوت العربي في ضوء الدراسات الحديثة , ص 62.
37 - ينظر : جان كانيتو, دروس في علم أصوات العربية, ص 87.
38 - ينظر : رمضان عبد التواب , مشكلة الضاد العربية و تراث الضاد والظاء, ص04
39 - كمال بشر , علم الأصوات , ص 253.
40 - السابق , ص 268.

كما يقول كانتينو : وقد صارت الضاد ظاءً في الألسن العربية الدّارجة العصرية عادة واستوت تماما في الظاءات الأصلية في اللغة مما أدى إلى نشوء كيفيات مختلفة في نطق الضـاد مماثلة لمختلف كيفيات نطق الظاء في العالم العربي والناطق بالعربية , فنطقت الضاد في اللهجات المغربية ظاء وذالا مفخمة وطاء نحو ظرب ودرب وطرب (بتسكين الظاء والدال والطاء) فهذا النطق المختلف لصوت الضاد في اللهجات أثر على نطقه في العربية الفصحى . [41]

أما الدكتور قاسم البريسم فقد وصف مخرج صوت الضاد بأنه :« النظير المفخم للدال تنطق باعتماد طرف اللسان بأصول الثنايا العليا ومقدم اللثة , حيث يتوقف الهواء لفترة من الزمن ثم يطلق سراحه , فيحدث انفجارا وتتذبذب الأوتار الصوتية معه , والاختلاف بينهما في الظواهر الفسيولوجية (ظاهرة التفخيم) التي تلازم نطق الضاد والتي منها تثخين أو) في جذر اللسان , مما يسبب في الوقت نفسه تحركا في الحنجرة أو تحرك الجزء البارز من جذر thickening(تغليظ اللسان نحو الجدار الخلفي للبلعوم , حيث ينتج عنه تقلص في فتحة البلعوم , إضافة إلى غيرها من الظواهر , فالضاد الحديثة صوت أسناني لثوي انفجاري مجهور مفخم »[42]

من خلال ما عرضناه , نجد أن علماء اللغة المحدثين قد اتفقوا على أن الضاد هو صوت أسناني لثوي انفجاري مجهور مفخم وهو النظير المطبق للدّال

فالضاد القديمة ليست نفسها الضاد الحديثة , وإنما تلك الأخيرة (الضاد الحديثة) هي صورة مولّدة عن الأخرى (الضاد القديمة) لأن الضاد القديمة هي صوت رخو أما الحديثة فهي صوت انفجاري شديد , وهذا راجع إلى الاختلاطات والامتزاجات التي حدثت إبّان الفتوحات الإسلامية التي أدخلت اللحن إلى لغتنا العربية .

3- **تفسير المحدثين لاختلاف القدامى في تحديد نقطة إنتاج الضاد** :

يقدم كمال بشر احتمالين أساسين لاختلاف القدامى في تحديد نقطة إنتاج حرف الضاد :

- الأول : يرى بعضهم أنه ليس من البعيد أن يكون لغويّو العرب قد أخفقوا في تحديد الموضوع الدقيق لنطق الضاد , ولكن هذا الاحتمال في رأي كمال بشر بعيد , إذ تناقضه الشواهد الكثيرة الواردة عنهم .
- الثاني : يبدو أن سيبويه وغيره من علماء العربية والقرّاء كانوا يتكلمون عن ضاد غير تلك الضاد التي نعرفها ونمارسها نطقا اليوم , وهناك من النصوص الواردة عنهم ما يؤيد هذا الاحتمال .

ويعزز وجهته بالنص المشهور الذي ساقه سيبويه متضمنا الإشارة إلى موضع نطق هذا الصوت وهو : « لولا الإطباق لصارت الطاء دالا .... ولخرجت الضاد من الكلام لأنه ليس شيء من موضعها » . فقد نسب الضاد إلى موضع لا يشترك معها غيرها , على حين أنّ الضاد في النطق الحالي تخرج من النقطة التي تخرج منها التاء والدال والطاء .

ويؤيد هذا الاستنتاج كذلك , مثلما نفسه من أن الطاء (لا الضاد) هي النظير المفخم للدال على عكس الموجود في نطقنا الحاضر , إذ فيه تقع الضاد موقع النظير المفخم لهذا الصوت (الدال) . [43]

ومما يرجح هذا الاحتمال أيضا – حسب كمال بشر – هو وصفهم لكيفية نطقها وحالة ممر الهواء عند نطقها , ويعزز الدكتور هذا الرأي بما جاء على لسان ابن جني : « فإن شئت تكلفتها من الجانب الأيمن وإن شئت من الجانب الأيسر, أو من كليهما » .

وقد أشار كمال بشر إلى أن نص هذا الأخير – ونقصد ابن جني – يوضح نقطة الخلاف الثانية بين القدامى والمحدثين في وصف الضاد , وتتمثل في أن الضاد عندهم – القدامى – ليست شديدة أي ليست وقفة انفجارية , وإنما هي صوت رخو واحتكاكي بالتعبير الحديث وبهذا فالضاد القديمة كانت تجمع بين ظاهرتين هما : ظاهرة خروج هوائها من جانب الفم كاللام , وظاهرة الاحتكاك .

---

41 - جان كانيتو, دروس في علم أصوات العربية, ص 87.
42 - قاسم البريسم , علم الصوت العربي , ص 61.
43 - كمال بشر , علم الأصوات , ص 255.

والسؤال الذي يطرح نفسه : لماذا هذا الخلط ؟

يرى كما بشر احتمالين لذلك :

1- أولها : أننا لم نسمع الصوت منطوقا من كل أولئك الذين وصفوه بطريقتهم , بدء من سيبويه وتابعيه .

2- ثانيها : أن ترجمة الوصف الذي قدّمه السابقون ترجمة نطقية وأداء فعلي فيه قدر كبير من الصعوبة . إذ هو وصف متأرجح ينحو بخواص الصوت نحو سمات أخرى وبخاصّة الظاء واللاّم . فالضاد في وصفهم صوت رخو (احتكاكي) اقترب من الظاء , وهو جانبي فاختلط باللام . ومما سبق نخلص إلى أن اختلاف القدامى في تحديد نطق الضاد يعود إلى اختلاف الناطقين بها

الاختلافات بين الضاد القديمة و الحديثة

مكمن الاختلاف	الضاد القديمة	الضاد الحديثة
المخرج	من أول حافة اللسان و ما يليها من الأضراس	مخرج الدال باعتباره تفخيما لها أي من طرف اللسان و أصول الثنايا
الصفة المخرجية	لثوي – حنكي (شجري)	أسناني – لثوي
كيفية حدوث الحرف	ينحرف اتجاه الهواء إلى حافتي اللسان مما يلي الأضراس و بذلك تتحقق صفة الاستطالة	يكون اتجاه حركة الهواء من فوق ظهر اللسان و لا يجري انحباسه إلا في نقطة واحدة عند المخرج
الشدة و الرخاوة	يخرج الهواء مصحوبا بحفيف ناشئ عن الاحتكاك بالمجرى الضيق فالصوت فيه رخاوة (احتكاكي)	انحباس الهواء خلف العضوين المتصلين قبل انفصالهما بشكل مفاجئ و من ثم فهو صوت شديد (انفجاري)

II: صفات الظّـــــاء ومميزاته -

الحرف السابع عشر في الترتيب الهجائي , والسابع والعشرين في الترتيب الأبجدية العربية , ويساوي عدديا الرقم تسعمائة (900) في حساب الجمل .

وفي الترتيب الصوتي القديم يأتي حرف الظاء في الترتيب السابع عند الخليل وابن جني , أما الترتيب الصوتي الحديث يأتي في الترتيب السابع عند الطيب أبو البكوش وعلماء الصوتيات في مصر.وحرف الظاء من حروف المباني في الكلم العربي , وهو ليس من حروف التصريف , ولا من حروف المعاني , وحرف الظاء من الحروف الشمسية التي تشدد في النطق بعد لام التعريف و تهمل معها هذه اللاّم نطقا لا كتابة.

وفي جميع جذور الصحاح الثلاثية ورد حرف الظاء أضعف الحروف العربية ترددا, بالإضافة إلى أنه (الظاء) لا تسبقه أحرف : (أ , ب , ت , ث , ج , ح , خ , د , ذ , ر , ز , س ش , ص , ض , ع , ق , ك , ن , هـ , و) ولا تتبعه

أحرف : (أ , ت , ث , د , ذ , س, ص , ض , هـ) , وأقوى حرف سابق له هو حرف العين , وأقوى حرف تال له هو حرف الظاء .[44]

1- الظاء عند القدامى

وعن كيفية حدوث حرف الظاء ووجدنا ذلك عند ابن سينا في رسالته (أسباب حدوث الحروف)، إذ يقول في الرواية الأولى من الرسالة :« وإن كان حبس كالإشمام بجزء صغير من طرف اللسان وإمرار الهواء المطلق بعد الحبس على سائر سطح اللسان على رطوبته وحفز له جملة سمع الظاء»[45] وإن كانت هذه الرواية غامضة بعض الشيء في لغتها ومصطلحاتها بالنسبة لما هو متداول في عصرنا، فإن الرواية الثانية كانت أكثر وضوحا وبساطة إذ يقول فيها: « والظاء قبلها في المخرج وليست تخرج عن حبس تام بل حبس مثل الإشمام بجزء صغير من وسط طرف اللسان يتوخى به أن يكون ما يلي أصل اللسان متعرضا للهواء برطوبته ثم يمر الهواء بعد الحبس الخفيف فيه مرا سلسا خفي الصفير جدا ولكن فيه صوت رطوبة »[46]

فهذا الوصف الدقيق لكيفية حدوث حرف الظاء واضح جدا وبسيط لا يستدعي زيادة توضيح وشرح لمن له إلمام سطحي بعلم الأصوات .

لعل أول من تكلم عن مخارج الحروف هو الخليل في مقدمة معجمه العين والتي تعتبر أول درس صوتي عربي، وقد حدد فيها الخليل مخرج حرف الظاء بقوله: « ثم الظاء والذال والثاء لثوية لأن مبدأها من اللثة»[47] والمقصود باللثة هي اللحم الذي تخرج منه الأسنان ، فحدد الخليل بذلك مبدأ خروج حرف الظاء منها وجمع بينها وبين الذال والثاء في نفس المخرج ولذلك نراه يقول أيضا : « ثم الظاء والذال والثاء في حيز واحد»[48]

ومخرج الظاء عند سيبويه :« ممّا بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مُخرَج الظّاء... »[49] وهو عنده أيضا من الأصوات المجهورة الرّخوة المطبقة والمنفتحة : « فأمّا المطبقة فالصاد والضاء والطاء والظاء » والمنفتحة كل ما سوى ذلك من الحروف , لأنك لا تطبق لشيء منهّن لسانك , ترفعه إلى الحنك الأعلى , هذه الحروف الأربعة إذا وضعت لسانك في موضعهن انطبق لسانك من مواضعهن إلى ما حاذى الحنك الأعلى من اللسان ترفعه إلى الحنك , فإذا وضعت لسانك فالصوت محصور فيما بين اللسان والحنك إلى موضع الحروف.[50]

أمّا في باب الإدغام فيرى سيبويه أنّ :« الظاء والثاء والذال أخوات الطاء والدال والتاء, لا يمتنع بعضهن من بعض في الإدغام , لأنهن من حيز واحد , وليس بينهن إلاّ ما بين طرف الثنايا وأصولها , وذلك قولك : اهبظّا لمّا وابعدِّ لكِ ...»[51]

وهذا الصوت لم ينسبه ابن سينا إلى لغة معينة , ويظهر أن نطق الفرس للظاء العربية الفصيحة هو نفسه النطق الذي يجري على ألسنتنا اليوم , بمعنى أثناء النطق لا يُخرج طرف اللسان.

فتلك الظاء العامية تعدّ من الأصوات العربية , رغم أن القدماء لم يرمزوا لها برمز معين , إلاّ أنها تسمع في بعض القراءات القرآنية خاصّة في قراءة الكسائي كقراءته في قوله تعـالى : ﴿ **حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاء وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ** ﴾ [52] , فالكسائي يجهر بالصاد في (يصدر) , وإذا جهر بالصاد أصبحت تلك الصاد ظاءْ عامية , لأنه لا فرق بين الصاد والظاء

44- سليمان فياض , استخدامات الحروف العربية , ص 83.
45- ابن سينا، أسباب حدوث الحروف، ت:محمد حسان الطيان ويحيى مير علم، ط1، دار الفكر، دمشق ، 1983 ص80
46 - المصدر السابق، ص 122-123
47 - كتاب العين،الخليل ، ج1، ص58
48 - السابق ،الصفحة السابقة .
49 - سيبويه و الكتاب , ج4 , ص 433.
50 - السابق , ص 437.
51 - السابق , ج4, ص 464.
52 - سورة القصص , الآية : 23.

العامية إلاّ في صفتي الجهر والهمس , إذ أن الوتران الصوتيان يتذبذبان في الظاء العامية ويصمتان في الصاد , ما عدا هذا فهما يتماثلان .[53]

وفي الأصل الظاء العامية تلك هي زاي مفخمة , لذا فعندما وصف أصحاب القراءات قراءة الكسائي قالو: « إشمام الصاد صوت الزاي »[54]

ومخرج الظاء عند ابن جني : « ممّا بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مخرج الظاء و الذال والثاء »[55]

وهي في المفصل للزمخشري مع شرح ابن يعيش : « والظاء والذال والثاء من حيز واحد وهو ما بين أطراف اللسان وأصول الثنايا , وبعضها أرفع من بعض , وهي لثوية لأن مبدأها من اللثة »[56]

أما عند ابن الجزري في القراءات العشر فهي في المخرج الرابع عشر: « من بين طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا و ويقال لها اللثويـة نسبة إلـى اللثة وهو اللحم المركب فيه الأسنان »[57] .

والملاحظ من كل هذه التعريفات السابقة الذكر أنها تتفق في اعتبار أن الظاء صوت أسناني أي ما بين الأسنان وهو احتكاكي (رخو) مجهور ومفخم .

فكل التعريفات قد أوردت المصطلحات نفسها : (بين طرف اللسان , أطراف الثنايا) وهذا ان دلّ على شيء إنما يدل على اتفاق القدامى في تحديد مخرج هذا الحرف , الأمر الذي جعل من حرف الظاء سهل التطبيق من حيث النطق عكس سابقه (الضاد) الذي تضاربت حوله التعريفات .

وبسبب هذا الاتفاق لم نجد صعوبة في تحديد موضع نطق حرف الظاء , الأمر الذي جعل من هذا الجزء مقتضبا وقصيرا عكس الجزء السابق .

2- الظاء عند المحدثين

أما عند المحدثين فنجد ذلك عند حسام البهسناوي في قوله : « ويتم نطق صوت الظاء بأن يوضع طرف اللسان بين الأسنان العليا والسفلى بحيث يسمح بمرور الهواء بينهما محدثا احتكاكا مسموعا وتضيق المسافة بين الوترين الصوتيين ضيقا شديد فيتذبذب الوتران الصوتيان ويخرج الصوت مجهورا وترتفع مؤخرة اللسان نحو الطبق فتتسع غرفة الرنين ويخرج الصوت مفخما ويرتفع الطبق نحو الجدار الخلفي للحلق فينسد التجويف الأنفي وينفتح التجويف الفموي ويخرج هواء صوت الظاء من الفم»[58] فالظاء هو النظير المفخم للذال , فكلاهما يملك نفس الصفات ما عدا التفخيم في الظاء والترقيق في الذال .

والظاء عند محمود عكاشة هو صوت أسناني احتكاكي رخو مجهور مفخّم . [59]

ويرى كمال بشر أن صوت الظاء ينطق خطا أحيانا بتغيير موضع النطق به لينطق زايا مفخمّة , وهذا النطق هو سائد في الألسنة العامّية الدّارجة في الوطن العربي(على حد قوله) ويضيف أن بعض العرب ينطقونه في لهجاتهم العامية نطقا صحيحا ومقبولا , كما في نطق الكويتيين والعراقيين خاصة , فيختلط بنطقهم لصوت الضاد .

كما يرى أن بعض النسوة تميل إلى ترقيق صوت الظاء فتنطق ذالا أو زايا , وهذا خطأ صوتي ودلالي معا في مثل كلمة ظلّ في صورة ذل أو زل .

---

53 - ينظر : ابراهيم أنيس , الأصوات اللغوية , ص108.
54 - السابق , ص 109.
55 - ابن جني , سر صناعة الاعراب , ص 47.
56 - ابن يعيش , شرح المفصل للزمخشري , ج 5 , ص518.
57 - ابن الجزري , النشر في القراءات العشر , ج1 , ص 201.
58 - حسام البهنساوي , علم الأصوات ، ص 66.
59 - محمود عكاشة , أصوات اللغة , ط1 , الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي , القاهرة , 2005م , ص 66.

ويبدو من جملة التراث اللغوي القديم وقوع تبادل بين الذال والظاء في بعض الكلمات ... جاء في تاج العروس قول الزّبيدي : « ثم رأيت ابن عصفور , قال في المقرب إنها (أي الظاء) تبدل من الذال المعجمة , قال : تركته وقيذا ووقيظا .قلت ونقل ذلك عن كراع أيضا , قلت : وكذلك أرض جلذاء وجلظاء , كما في نوادر العرب » [60]

من خلال هذا النص نستخلص أنّ التبادل بين الظاء والذال موجود منذ القدم , وإن كان يتحقق بتفخيم الذال فتصير ظاء , على عكس من التبادل الذي يتحقق بترقيق الظاء إلى ذال كما هو دارج على ألسنة بعض الناطقين الآن .

III- الضـاد والظاء في النطق السامي و اللـهجات الحديثة

1- الضـاد والظاء في اللغات الجزرية (السامية)

يقول ابن جني : « واعلم أن الضـاد للعرب خاصة ولا يوجد من كلام العجم إلا في القليل[61]»، ويتفق معه في ذلك الفيروزابادي في جعلها للعرب خاصة"[62]" . وبالنسبة للظاء يخصها ابن الجزري بلغة العرب فيقول : الحروف التسعة والعشرون المشهورة اشتركت لغات العرب ولغات العجم في استعمالها إلا الظاء فإنها للعرب خاصة "[63]" ، ويوافقه في ذلك الفيروزابادي "[64]". وقد أجمع الباحثون في مقارنة اللغات على أن القاف والطاء والصاد شائعة في كل اللغات السامية ، وبالتالي فهي موجودة في السامية الأم ، وأما الضـاد فهذه بلا شك من خصوصيـات العربيـة الفصحى "[65]" .

ومن ثم كان الحق مع الفيروزابادي حين جعل الضـاد للعرب خاصة . وسميت العربية لهذا لغة الضـاد ، وأشار إلى هذا المتنبي في شعره فقـال :

لا بقومي شرفت بل شرفو بي ونفس فخرت لا بجـدودي

وبهم فخر كل من نطق الضـا د وعوذ الجاني وغوث الطريد"[66]"

في دراسة للدكتور قاسم بريسم لأهم تطورات فونيمي الضاد والظاء في اللغات الجزرية (السامية)* تم تلخيص ما يلي :

تتفرع اللغات الجزرية إلى فرعين :

أ- اللغات الجزرية الشمالية : وتشمل اللغات الأكدية (الآشورية – البابلية) واللغات الكنعانية (العبرية والفينيقية) واللغات الأرامية .
ب- اللغات الجزرية الجنوبية : وتشمل العربية واليمنية القديمة واللغات الحبشية.

---

60 - ينظر: كمال بشر , علم الأصوات , ص 300.
61 - ابن جني , سر صناعة الإعرب ج 1 ص 114 .
62 - الفيروز آبادي , القاموس ,ج 1 , (د. ط) ، دار الجيل ، (د. ب) ، (د. ت) ، ص 321 .
63- ابن الجزري , التمهيد , ص 102 .
64 - الفيروز آبادي , القاموس, ج 4 , ص 361 .
65 - عبد المنعم محمد عبد الغني النجار , العلاقة بين الضاد والظاء , ص 10.
66 - ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري ضبطه وصححه ووضع فهارسه الأستاذ مصطفى السقا وآخرين . ج 1 ,ص 322 ، 323.
* - تستخدم اللغات الجزرية بدلا من السامية

1. **اللغات الجزرية الشمالية** :

1.1.- **اللغات الأكدية** (الآشورية – البابلية)

تضم الألفباء الأكدية الحروف التالية : أ, ب , ت, ج ,ح ,خ , د, ر, ز, س, ش, ص, ط ,ع , ف, ق, ك , ل, م, ن, هـ , و .وتخلو من الحروف : ث , ذ , ض , ظ , ي , غ .

وفي هذه اللغة يحل صوت الصاد محل الضاد والظاء .

الأكدية	العربية
أرصتو	أرض
عصُو	عُضَّ
صَّرتو	ضَرَّة
رحص	رحض
صِلّو	ظِل

1. 2- **اللغات الكنعانية** :

تضم الألفباء الكنعانية الحروف التالية : أ, ب , ت, ج ,ح , د, ر, ز, ش, ص, ط ,ع , ف, ق, ك , ل, م, ن, هـ , ي.

وتخلو من الحروف : ث ,خ, ذ , س, ض , ظ, غ, و. وفيها تتحول الضاد والظاء إلى الصاد.وتضم اللغات الكنعانية العبرية والفينيقية

أ- العبرية : يتحول فيها كل من الضاد والظاء إلى الصاد .

العبرية	العربية
بيصا	بيضة
رصص	رض
صل	ضل
عصم	عظم

ب- الفينيقية : الفينيقية كأختها العبرية تخلو من صوتي الضاد والظاء

العبرية	العربية
صان	ضأن
أرص	أرض
عصيم	عظيم

1. 3 – **الآرامية**

تضم الألفباء الآرامية احدى وعشرون حرفا وهي : أ, ب , ت, ج ,ح , د, ر, ز, ش, ص, ط ,ع , ف, ق, ك , ل, م, ن, هـ , و, ي.

وتخلو من الحروف : ث ,خ, ذ , س, ض , ظ, غ. وفيها يحل صوتا القاف والعين بدل الضاد.ويحل صوت الطاء بدلا من صوت الظاء.

الآرامية	العربية
أرْعا, أرْقا	أرض
مرع	مرض
مرق	مرض
طَلا [67]	ظِل
طفْرا	ظفر

[67] - اسرائيل ولفنسون , تاريخ اللغات السامية , ط1, مطبعة الاعتماد , مصر , 1929, ص289.

1- اللغات الجزرية الجنوبية :

2. 1 - اللغة الحبشية :

تضم الألفباء الحبشية الحروف التالية : أ, ب , ت, ج ,ح,خ , د, ذ, ر, ز, س, ش, ص, ض, ط, ظ ع , ف, ق, ك , ل, م, ن, هـ , و, ي.

وتخلو من حرفي : ث, غ. وعلى الرغم من وجود حرفي الضاد والظاء في الألفباء الحبشية فقد يحدث بينهما الإبدال , فقد جاءت كلمة (عظم) في العربية بالضاد (عضم) في الحبشية [68] , وقد تتحول الظاء إلى صاد , فقد وردت (صلّلوت) في الحبشية بمعنى (ظل) في العربية .[69]

الحبشية	العربية
ضرّ	ضرّة
ظفر	ظفر[70]

2.2 – اللغة اليمنية القديمة :

تضم اللغة اليمنية عدّة لهجات , منها المعينية والسبئية والحميرية والقتبانية والحضرمية وتضم الألفباء اليمنية جميع الحروف العربية , وبذلك فهي تضم صوتي الضاد والظاء كفونيمين مستقلين , إلاّ أنه كثير ما يحدث إبدال بينهما كما في اللفظتين (وضوء وضلع) اللتين جاءتا بالظاء. كما وجدنا أن « الظاء قد تبدل إلى الصاد كما في ظُفر»[71]

2-الضـاد والظاء في اللـهجات الحديثة

اشتباه الضاد بالظاء:

تكلمنا سابقا عن الأحرف التي انقلب إليها نطق العرب بعد استصعابهم و استثقالهم لنطق الضاد ولكن الحرف الأكثر اشتباها به والذي طغى انقلاب الضاد إليه على باقي الأحرف هو حرف الظاء،وما مصطلح "الفرق بين الضاد والظاء "والذي ظهر مبكرا في عصور متقدمة للدراسات اللغوية العربية إلا دليل واضح على ما قلناه إضافة إلى كثرة التآليف التي صنفت في هذا المجال،ولم نجد فيما تمكنا من جمعه من هذه المؤلفات إلا كتبا ثلاثة تتكلم عن حروف أخرى والفرق بينها،منها كتاب"الفرق بين الأحرف الخمسة الظاء والضاد والذال والسين والصاد " لابن السيد البطليوسي.[72]

أما لماذا كانت الظاء أكثر اشتباها بالضاد من باقي الأحرف التي تنقلب إليها الضاد,فذلك لأن الظاء اشتركت مع الضاد في كامل الصفات وتقاربت معها في المخرج وتفردت الضاد بالاستطالة, يقول ابن الجزري : «والضاد والظاء اشتركا صفة جهرا ورخاوة واستعلاء وإطباقا وافترقا مخرجا»[73]، ويقول:« والضاد انفرد بالاستطالة »[74]، إضافة إلى تشابه الصورة الخطية لهذين الحرفين حيث لا يفرق بينهما إلا لسان الظاء أو العصا المشالة كما تسمى .

و هذا الاشتباه الشديد و الطاغي سجلته لنا الكتب القديمة متمثلا في حالات و وقائع عديدة حدث فيها خلط بين الحرفين خاصة, دون أن يكون لباقي الأحرف حظا من الروايات كما هو الحال بالنسبة لما جمعناه منها. ومن بين هذه الكتب نذكر :

1- أبو بكر القيرواني له كتاب الضاد و الظاء
2- أبو الفهد النحوي البصري له كتاب الظاء و الضاد و الذال و السين و الصاد
3- أبو عمرو الزاهد (غلام ثعلب) له كتاب : الفرق بين الضاد و الظاء

---

[68] - اسرائيل ولفنسون , تاريخ اللغات السامية , ص290.
[69] - السابق , ص 289.
[70] - السابق , ص 289.
[71] - ينظر : قاسم البريسم, علم الصوت العربي في ضوء الدراسات الحديثة , ص 52-58
[72]- رمضان عبد التواب , مشكلة الضاد العربية و تراث الضاد و الظاء , ص 14
[73] - ابن الجزري ,النشر في القراءات العشر, ج1, ص 214
[74]-السابق , ص219.

4- الصاحب بن عباد له كتاب : الفرق بين الضاد و الظاء
5- أبو الفتح المصري له رسالة في الضاد و الظاء
6- أبو عبد الله محمد بن جعفر القزاز القيرواني له كتاب الضاد و الظاء و يسمى كتاب الظاء في ثلاثة أجزاء
7- أبو القاسم مرجى بن كوثر المعري المقرئ النحوي له كتاب : الضاد والظاء
8- أبو الحسن علي بن أبي الفرج القيسي الصقلي له كتاب : الفرق بين الظاء و الضاد
9- أبو محمد القاسم سعد بن علي الزنجاني له كتاب معرفة ما يكتب بالضاد و الظاء
10- أبو محمد القاسم بن علي الحريري له كتاب : الفرق بين الضاد و الظاء – و منظومة الظاء في المقامات . [75]

ولا بأس أن نورد بعضا من هذه الروايات للتدليل والاستئناس

يقول ابن جني:«أما قول الشاعر :

ثلاث خصال كلها لي غائض إلى الله أشكو من خليل أوده

فقالوا : أراد غائظ فأبدل الظاء ضادا ويجوز عندي أن يكون غائض غير بدل ولكنه من غاضه أي نقصه فيكون معناه انه يتنقصني ويتهضمني »[76]

وقد أورد بعض علماء اللغة شواهد وقع فيها هذا التبادل : منها ما روي :

أن رجلاً قال : لعمر (رضي الله عنه) يا أمير المؤمنين أيظحى بضبي ؟ قال : وما عليك لو قلت : أيضحى بظبي ؟

قال : إنها لغة . قال : انقطع العتاب ولا يضحى بشيء من الوحش

وورد أن عمر (رضي الله عنه) ومن حضره عجبوا من قوله ، فقال : يا أمير المؤمنين إنها لغة وكسر اللام ، فكان عجبهم من كسر لام لغة أشد من قلب الضاد ظاء والظاء ضاداً ،

وهذه الرواية يجب أن تكون في الأصل على أحد نطقين لأحد حيين من العرب :

أول هذين النطقين : أيضحى بظبي وثانيهما : أيظحى بظبي . [77]

إن انتقال الضاد إلى الظاء أو العكس قديم عند العرب كما أوضحته النصوص الشواهد السابقة . وقد لاحظ ابن الجزري في القرن التاسع انتقال الضاد إلى الطاء في صقلية وغيرها في المغرب ، وفي مصر فيقول : (ومنهم من لا يوصلها إلى مخرجها بل يخرجها دونه ممزوجة بالطاء المهملة لا يقدرون على غير ذلك وهم أكثر المصريين وبعض أهل المغرب)[78].

وإذا انتقلنا إلى الضاد والظاء في لهجاتنا الحديثة فإن الضاد تنطق قريباً من الظاء في بعض الجهات في جمهورية مصر العربية في إقليم مريوط . وفي محافظة سيناء الشمالية . وفي العراق والمغرب . وفي الخليج والسعودية "[79]" .

وقد لاحظ ذلك ابن الجزري في القرن التاسع الهجري ، فقال : (فمنهم من يجعله ظاء مطلقاً لأنه يشارك الظاء في صفاتها كلها ويزيد عليها بالاستطالة ، فلولا الاستطالة واختلاف المخرجين لكانت ظاء ، وهم أكثر الشاميين وبعض أهل المشرق) [(80)] .

---

[75] - رمضان عبد التواب , مشكلة الضاد العربية و تراث الضاد و الظاء , ص 12-13.
[76]- ابن جني, سر صناعة الإعراب , ج1, ص215.
[77] - عبد المنعم محمد النجار , العلاقة بين الضاد والظاء , ص15 .
[78] - ابن الجزري , التمهيد , ص 131.
[79] - ينظر:عبد المنعم محمد عبد الغني النجار , العلاقة بين الضاد والظاء , ص24 .

وقد لوحظ نطق الضـاد قريبة من الظاء في جنوب المملكة العربية السعودية من الطلاب في الجامعة أثناء التدريس ، ومن أهالي المنطقة أثناء تجوالي بينهم . وتنطق الضـاد كاللام المطبقة عند أهل حضرموت .

) في الكلمات العربية Id ويظهر أن الأندلسيين كانوا ينطقون الضـاد مثل ذلك ؛ ولذلك استبدلها الأسبان بالـ (dicdide المستعارة في لغتهم مثال ذلك أن كلمة القاضي صارت في الأسبانية [81] .

وهذا يفسر أن التبادل بينهما حادث من قديم للعلاقة الصوتية القوية بينهما ، وإذا كان بعض العرب يفر من الجمع بين مطبقين فبعض أخر منهم يميل إلى الجمع بين المطبقين ؛ لأن اللسان حينئذ يعمل في منطقة واحدة وهم أكثر العرب , وإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يحدث العرب على اختلاف لهجاتهم فقد روى مجاهد عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ (إذا كان عند اضطراد الخيل وعند سل السيوف أجزأ الرجل أن تكون صلاته تكبيراً) "82" .

وأصل اضطراد بإظهار اللام ، هكذا فسره ابن إسحاق "83" .

وقد انتقلت الضـاد إلى الصاد في لهجات منطقة ظفار كالمهرية والشحرية "84"

وإذا كانت الضـاد تتبادل مع الظاء أو مع اللام لوجود علاقة صوتية قوية بينهما وبين الظاء أو اللام . . فالعلاقة الصوتية بينها وبين الصاد قوية أيضاً ، مما يبيح الانتقال إلى هذه الصاد في منطقة ظفار ، فالضـاد من أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس والصاد مما بين طرف اللسان وفويق الثنايا .[85]

ويتصفان بالإطباق والرخاوة ، وهذه العلاقة الصوتية القوية أباحت الانتقال بينهما قديماً حيث وجدنا بني ضبة ينطقون الضـاد صاداً ، يقول ابن سيده : (الضئيل بالضـاد الداهية ولغة بني ضبة الصئبل بالصاد والضـاد أعرف) [86].

ونجد الضـاد في نطق الكثير من القراء في مصر وعند العوام فيها وبعض الأقطـار الأخرى تنطق دالاً مطبقة ، ونسمعه عند كثير من سكان الريف دالاً غير مطبقة حيث يقولون في ضـرب (درب) , والضـاد التي أصبحت قريبة من الظاء عند كثير من البدو في لهجاتنا الحديثة وغير البدو وهم لا ريب متأثرون بهم في الخليج والعراق وفي مصر . [87]

يرى برجشتراسر الألماني أن هذا النطق (نشأ من نطقها العتيق بتغير مخرجه من حافة اللسان إلى طرفه) ([88]) ، كما يرى أن نطق الضـاد دالاً (نشأ من هذا النطق البدوي بإعماد طرف اللسان على الفك الأعلى بدل تقريبه فقط فصـار الحرف بذلك في نطقه شديداً بعد أن كان رخواً) [89] .

وعلى هذا يرى عبد المنعم أنّ نطق الضاد دالا مفخمة قد مر بنقطة إنتاج الظاء كما أن الضـاد التي أصبحت قريبة من الظاء أو أصبحت ظاء كما ذكر هي الضاد الضعيفة التي ذكرها سيبويه وأوردها بين ثمانية أصوات (غير مستحسنة ولا كثيرة في لغة من ترضى عربيته ، ولا تستحسن في قراءة القرآن ولا في الشعر) [90] .

وقد فسر ابن يعيش هذه الضـاد الضعيفة في القرن السابع الهجري بأنها : من لغة قوم اعتاصت عليهم فربما أخرجوها ظاء . وذلك أنهم يخرجونها من طرف اللسان وأطراف الثنايا ، وربما راموا إخراجها من مخرجها فلم يتأت لهم

---

[80] - ابن الجزري , التمهيد , ص 130 .
[81] ـ رمضان عبد التواب ,التطور النحوي للغة العربية ص 18 ، 19 .
[82]- ابن منظور , لسان العرب ,(ط 4), لبنان. ج 4 , دار صابر ,2005م, ص , 2554 .
[83]- السابق , ص 2554 .
[84]- عبد المنعم محمد عبد الغني النجار , العلاقة بين الضاد والظاء , ص26.
[85] ـ سيبويه , الكتاب , ج 4 , ص 433 .
[86] ـ بن منظور , لسان العرب , ج 4 , ص 2540 .
[87]- عبد المنعم محمد عبد الغني النجار , العلاقة بين الضاد والظاء , ص 26.
[88]- رمضان عبد التواب , التطور النحوي للغة العربية , ص 19 .
[89] - السابق , الصفحة السابقة .
[90] - سيبويه , الكتاب, ج 4 , ص 432 .

فخرجت بين الضـاد والظاء [91] .يبدو أنها صارت في جهات أخرى إلى السين أو إلى الصاد . يدل على ذلك قـول المستشرق الألماني برجشتراسر : (وهي الآن عند كثير من أهل المدن أحد حـروف الصفيـر) "[92]" .

ويذهب المستشـرق (برجشتراسـر) إلى (أن نطـق الظاء كان قريباً من نطـق الضـاد وكثيراً تطابقتا وتبادلتا في تاريخ اللغة العربية . وأقدم مثل لذلك مأخوذ من القرآن الكريم ، وهو ((الضنين)) في سورة التكوير ، فقد قرأها كثيـرون بالظاء مكان الضـاد التي رسمت بها في كل المصاحف . وممن قرأها بالظاء ابن كثيـر وأبو عمرو والكسائي ، وكذلك النبي صلى الله عليه وسلم كما قال مكي في كتاب الكشف [93] : ومما لا شك فيه أن العرب القدامى في البيئة القرشية ، كانـوا يفـرقـون بين الضـاد والظاء ، بدليل أن الكتابة العربية التي شاعـت أول ما شاعـت في قـريش ، فـرقـت بين الصوتيـن في الصـورة الموضـوعة لكل منهمـا) . [94]

ولعل هذا الخلط بين صوتي الضـاد والظاء كان قد شاع في القرن الثالث الهجري وكان هو السر فيما ذهب إليه أبو عبد الله محمد بن زياد الأعرابي اللغوي المشهور (توفي سنة 231 هـ) من أنه يجـوز عند العـرب أن يعاقبـوا بين الضـاد والظاء .

كما يقـول كانتينو : (وقـد صـارت الضـاد ظاء في الألسـن العربية الدارجة العصـرية عـادة واستوت تماما في الظاءات الأصلية في اللغة ، فنشأ عن ذلك كيفيات مختلفة في نطق الضـاد مماثلة لمختلف كيفيات نطق الظاء في العالم الناطـق بالعربيـة ، فتنطـق في اللهجـات المغربية ظاء ودالاً مضخمة وطاء ، نحو : ظرب وضرب وطرب ، في : ضرب[95].غير أنه يعـود فيقـول : (وأكثـر أنواع نطـق الضـاد في الفصحى شيوعاً هو نطقها كالظاء ، إذا كان في لهجة المتكلم حـروف ما بين الأسنـان " الذال والثاء والظاء " ، وكالدال المضخمة إذا انعدمت من لهجتـه تلك الحـروف).

فبعـد هذه الجولة نكون قد تعرفنا على الضـاد والظاء من حيث العلاقة الصوتية والنشأة التاريخية والتبادل بينهما في اللهجات العربية القديمة والحديثة وانتقال كل منهما إلى أصوات أخرى قريبـة منها في هـذه اللهجـات قديمهـا وحديثهـا .

---

91 - ابن يعيش , شرح المفصل ,ج 10 , ص 127 -128 .
92 - رمضان عبد التواب , التطور النحوي للغة العربية , ص 19 .
93 - السابق , ص 11 .
94 - رمضان عبد التواب , مشكلة الضاد العربية و تراث الضاد و الظاء , ص8.
95- كانتينو , دروس في علم أصوات العربية , ص 87 .

الفصل الثاني

في فصلنا الثاني و هو يمثل الجانب التطبيقي من البحث، سنتناول توظيف الضاد والظاء في القرآن الكريم بأكمله و ذلك من جانب إحصائي ، حيث سنقوم بدراسة نسبة توظيف الحرفين في القرآن بشكل عام ثم في السور والآيات بشكل تفصيلي .

وسنبدأ على بركة الله بالجانب الإحصائي لكلا الحرفين وقد اعتمدنا في الإحصاء من أجل الحصول على نتائج دقيقة وصحيحة على البرامج الخاصة لإحصاء أحرف القرآن وكلماته وآياته وغير ذلك،وهذه البرامج متوفرة على شبكة المعلومات العالمية ويمكن تحميلها أو استعمالها مباشرة انطلاقا منم الاتصال بالشبكة [96].

1- الجانب الكمي الإجمالي (نسبة توظيف حرفي الضاد و الظاء في القرآن)

[96] - تم تحميل البرامج الإحصائية من الموقعين

(www.alargam.com) -
(www.islamnoon.com)-

- **من حيث الكلمة** : تقدر الكلمات القرآنية بـ (77437) كلمة و الكلمات الضادّية هي1684 أي بنسبة (2.18) % , أما الكلمات الظائية يقدر عددها بـ (853) كلمة أي بنسبة (1.1%) و هي أقل نسبة توظيف في القرآن مقارنة مع الضاد وفيما يخص كامل الأحرف العربية .(أنظر الجدول رقم 01)

- **من حيث الحرف** : و إذا عدنا إلى عدد الأحرف القرآنية نجد أنها تقدر بـ:(326547) حرف، و عدد أحرف الضاد في القرآن هي 1686 أي بنسبة(0.52%), و عدد أحرف الظاء في القرآن هو(853) و بذلك تكون نسبة توظيف الحرف(ظ) إلى مجموع الأحرف القرآنية أي بنسبة (0.26%) (أي بعدد الكلمات و ذلك لأنه لا توجد كلمة قرآنية تحتوي على أكثر من ظاء واحدة عكس ما يمكن أن نجده بالنسبة لبعض الأحرف الأخرى و التي يمكن أن تكون مكررة في الكلمة الواحدة كالألف و اللام في (لؤلؤ) و الراء و الفاء في (رفرف) و السين في (سلسبيل)و(سلسلة) و الدال و الميم في (دمدم)و(ممدود) وفي الضاد نجد تكرار الحرف في القرآن في كلمتين هما يغضضن وأغضض . (أنظر الجدول رقم 2).

- **من حيث الجذور** هذا فيما يخص الكلمات و الأحرف،أما إذا نظرنا إلى جذور الضادات و الظاءات التي تعود إليها هذه الكلمات نجدها بالنسبة للضاد 70 جذرا و(21) جذرا فقط بالنسبة للظاء ، وهي نسبة ضئيلة مقارنة بإجمالي الجذور القرآنية و المقدر بـ(1700) جذرا فكانت نسبتهما إلى إجمالي الجذور على التوالي هي (41.17 %) و (1.23%). فنسبة جذور الظاءات تمثل نسبة ضئيلة مقارنة بجذور الضاد والجذور القرآنية .

2-الجانب الكمي التفصيلي:

بعد أن رأينا توظيف الحرفين على مستوى كامل القرآن الكريم، من الجهة الإجمالية سنرى مظاهر هذا التوظيف من الناحية الكمية أيضا، ولكن من الجانب التفصيلي،أي توظيف الضاد والظاء على مستوى السور و الآيات و الكلمات.

أ- **مستوى السور:**

يتكون القرآن الكريم من (114) سورة قرآنية , وتظهر الضاد في 97 سورة واختفت تماما في 17 سورة قرآنية ابتداء من سورة الأعلى و اختتاما بالإخلاص , أما الظاء فظهرت في (86) سورة فقط ، و اختفت من (28) سورة ابتداء بالفاتحة و اختتاما بالناس , وكلا الحرفين اختفى تماما في السور الأخيرة للقرآن الكريم (ابتداء من سورة الكوثر إلى سورة الناس)

- و إذا نظرنا إلى الجدول الذي يبين مرتبة الظاء من حيث قلة التوظيف بالنسبة إلى باقي الأحرف لوجدنا(أنظر الجدول-02-)أن الظاء لم تكن الحرف الأقل توظيفا في (34) سورة من مجموع (86) سورة و لم توظف في (28) سورة أصلا، وكانت الأقل توظيفا في (52)سورة أي حوالي نصف سور القرآن، مما يجعلها تحتل المرتبة الأولى في قلة التوظيف على مستوى كل سورة على حدة .

أما السور التي لم تكن الظاء فيها الأقل توظيفا ومجموعها (34) سورة ، فقد كانت الظاء في المرتبة ما قبل الأخيرة في (10) سور و في المرتبة التي قبلها في (11) سورة، أي بمجموع (21) سورة من أصل .(34)

و في الخلاصة الإجمالية ، توظيف الضاد في الصور كان أكبر من توظيف الظاء إلاّ في قلة من السور وكان التفاوت بينهما ضئيل وبنسبة تكاد معدومة .

و من هنا يمكن القول أن قلة التوظيف لم تقتصر على الجانب الإجمالي، بل تعدى الأمر إلى الجانب التفصيلي كما رأينا مع مستوى السور، و كما سنرى مع مستوى الآيات و الكلمات.

ب- **مستوى الآيات:**

- إن مجموع الآيات القرآنية هو (6236)آية ,ومجمل الآيات القرآنية التي وردت فيها الضاد هي (1296)آية، ونسبتها(% 20.87)،

- ومجمل الآيات القرآنية التي وردت فيها الظاء هي (745)آية، ونسبتها(11.54%)، وهي نسبة ضئيلة مقارنة بنسبة الضاد .

- إذا نظرنا إلى الآيات التي وردت فيها الضاد نسبة إلى مجموع آيات كل سورة على حدة، نجدها نسبا لابأس بها ، حيث تصل النسبة إلى (52%)أما إذا نظرنا إلى الآيات التي وردت فيها الظاء نسبة إلى مجموع آيات كل سورة على حدة، نجدها نسبا قليلة جدا، حيث لم تتعد نسبة (25%) وتمثل نصف نسبة الضاد إلاّ في أربع سور هي (الصف/الجمعة/الطلاق/التحريم) وذلك راجع ليس لكثرة الآيات الظائية فيها، ولكن لقلة آيات هذه السور أصلا فعددها على التوالي (12/12/11/14)، وانحصرت باقي النسب بين (24.13%) و (1.28%)

ج-مستوى الكلمات:

في عملية الإحصاء وجد أن حرف الضاد تكرر في الكلمة الواحدة ولكن في جذر وحيد هو غضّ (يغضضن ,أغضض) حيث فك الإدغام .

أما الظاء فلم يتكرر في الكلمة الواحدة باعتباره من حروف المباني الأصلية و ليس من حروف الزيادة و الإبدال التي يمكن أن تتكرر باعتبارها مبدلة أو مزيدة إلى جذر تكون فيه أصلا، كالدال المبدلة من تاء افتعل في الجذر (زرد)، حيث يصبح (ازدرد) بتكرار الدال،أو كالميم في اسم المفعول لفعل فيه ميم أصلية مثل (مظلوم) من (ظلم)، فالميم مكررة.

و رغم وجود الظاء كحرف في الثنائي المضاعف مثل (ظأظأ) و غيرها إلا أنه لم يوظف أي واحد منها في القرآن.

الجدول رقم (1) توظيف الأحرف في القرآن

الحرف	عدده	نسبته	الحرف	عدده	نسبته
أ	52655	16.32	س	6010	01.86
ل	38102	11.82	د	5991	01.85
ن	27268	08.45	ذ	4932	01.52
م	26735	08.28	ح	4140	01.28
ي	25746	07.98	ج	3317	01.02
و	25676	07.95	خ	2497	0.77
هـ	17194	05.32	ش	2124	0.65

ر	12403	03.84	ص	2074	0.64
ب	11491	03.56	ض	1686	0.52
ت	10520	03.26	ز	1599	0.49
ك	10497	03.25	ث	1414	0.43
ع	9405	02.91	ط	1273	0.39
ف	8747	02.71	غ	1221	0.37
ق	7034	02.18	ظ	853	0.26

توزع الكلمات الضادية و الظائية على سور القرآن

عدد أحرف الضاد - كما سبق الذكر أن حرف الضاد كرر في لفظتين فقط - هي (1686) أما عدد أحرف الظاء في القرآن هو(853) وتعادل عدد الكلمات و ذلك لأنه لا توجد كلمة قرآنية تحتوي على أكثر من ظاء واحدة . لذلك اخترنا توزع الكلمات على سور القرآن والاستغناء عن توزع الحروف.

رقم السورة	اسم السورة	عدد كلماتها	عدد الكلمات الظائية	النسبة	عدد كلماتها الضادية	النسبة
.1	الفاتحة	29	0	0	2	6.90
.2	البقرة	6116	62	1.01	133	2.17
.3	آل عمران	3471	36	1.03	66	1.90
.4	النساء	3747	45	1.20	101	702.
.5	المائدة	2804	18	0.64	53	1.90
.6	الأنعام	3050	48	1.57	55	1.80
.7	الأعراف	3323	43	1.29	62	1.86
.8	الأنفال	1234	08	0.64	27	2.18
.9	التوبة	2498	29	1.17	61	2.44
.10	يونس	1833	32	1.74	43	2.34
.11	هود	1917	24	1.25	32	1.66
.12	يوسف	1777	14	0.78	32	1.80
.13	الرعد	854	06	0.70	24	2.81
.14	إبراهيم	830	11	1.32	22	2.65
.15	الحجر	654	09	1.37	14	2.14
.16	النحل	1844	22	1.19	32	1.73
.17	الإسراء	1556	16	1.02	44	2.82
.18	الكهف	1579	17	1.07	31	1.96
.19	مريم	961	05	0.52	17	1.77
.20	طه	1335	05	0.37	35	2.62
.21	الأنبياء	1169	17	1.45	26	2.22

رقم السورة	اسم السورة	عدد كلماتها	عدد الكلمات الظائية	النسبة	عدد كلماتها الضادية	النسبة
.22	الحج	1274	13	1.02	27	2.12
.23	المؤمنون	1050	13	1.23	20	1.90
.24	النور	1316	17	1.29	38	2.90
.25	الفرقان	893	09	1.00	23	2.58
.26	الشعراء	1318	17	1.28	20	1.52
.27	النمل	1151	16	1.39	24	1.09
.28	القصص	1430	16	1.11	29	2.03
.29	العنكبوت	976	08	0.81	16	1.64
.30	الروم	817	11	1.34	30	3.67
.31	لقمان	546	07	1.28	13	2.38
.32	السجدة	372	04	1.07	8	2.15
.33	الأحزاب	1287	17	1.32	24	1.86
.34	سبأ	883	08	1.90	25	2.83
.35	فاطر	775	08	1.03	20	2.58
.36	يس	725	05	0.69	15	2.07
.37	الصافات	862	16	1.86	14	2.62
.38	ص	733	07	0.95	14	1.91
.39	الزمر	1172	10	0.85	32	2.73
.40	غافر	1219	11	0.90	26	2.13
.41	فصلت	794	10	1.26	16	2.02
.42	الشورى	860	14	1.63	23	2.67
.43	الزخرف	830	11	1.32	24	2.89
.44	الدخان	346	02	0.57	04	1.16
.45	الجاثية	488	06	1.23	13	2.66
.46	الأحقاف	643	04	0.62	18	2.80
.47	محمد	539	04	0.74	18	3.34
رقم السورة	اسم السورة	عدد كلماتها	عدد الكلمات الظائية	النسبة	عدد كلماتها الضادية	النسبة
.48	الفتح	560	12	2.14	9	1.61
.49	الحجرات	347	04	1.15	9	2.59
.50	ق	373	05	1.34	5	1.34
.51	الذاريات	360	02	0.55	4	1.11
.52	الطور	312	01	0.32	4	1.28
.53	النجم	360	04	1.11	9	2.50
.54	القمر	342	01	0.29	2	0.58
.55	الرحمن	351	01	0.28	7	2.00

.56	الواقعة	380	09	2.36	7	1.84
.57	الحديد	574	08	1.39	25	4.36
.58	المجادلة	472	03	0.63	05	1.06
.59	الحشر	445	04	0.89	05	1.12
.60	الممتحنة	348	02	0.57	04	1.15
.61	الصف	221	05	2.26	01	0.45
.62	الجمعة	175	03	1.71	08	4.57
.63	المنافقون	180	0	0	2	1.11
.64	التغابن	241	02	0.82	06	2.50
.65	الطلاق	287	04	1.39	09	3.14
.66	التحريم	249	06	2.40	08	3.21
.67	الملك	333	01	0.30	06	1.80
.68	القلم	300	03	1.00	04	1.33
.69	الحاقة	258	03	1.16	06	2.33
.70	المعارج	217	03	1.38	03	1.38
.71	نوح	226	02	0.88	06	2.65
.72	الجن	285	05	1.75	06	2.11
.73	المزمل	199	01	0.50	07	3.52
رقم السورة	اسم السورة	عدد كلماتها	عدد الكلمات الظائية	النسبة	عدد كلماتها الضادية	النسبة
.74	المدثر	255	01	0.39	05	1.96
.75	القيامة	164	04	2.43	01	0.61
.76	الإنسان	243	02	0.82	05	2.06
.77	المرسلات	181	03	1.65	01	0.55
.78	النبأ	173	02	1.15	2	1.15
.79	النازعات	179	01	0.55	03	1.68
.80	عبس	133	01	0.75	04	3.01
.81	التكوير	104	00	00	02	1.92
.82	الانفطار	80	01	1.25	00	00
.83	المطففين	169	05	2.95	04	2.37
.84	الانشقاق	107	02	1.88	01	0.93
.85	البروج	109	01	0.92	01	0.92
.86	الطارق	61	02	3.27	01	1.64
.87	الأعلى	72	00	00	00	00
.88	الغاشية	92	01	1.08	04	4.36
.89	الفجر	137	00	00	04	2.92
.90	البلد	82	00	00	00	00
.91	الشمس	54	00	00	02	3.70

.92	الليل	71	01	1.40	01	1.40
.93	الضحى	40	00	00	03	7.50
.94	الشرح	27	01	3.70	02	7.41
.95	التين	24	00	00	00	00
.96	العلق	72	00	00	00	00
.97	القدر	30	00	00	00	00
.98	البينة	94	00	00	02	2.13
.99	الزلزلة	36	00	00	02	5.56
رقم السورة	اسم السورة	عدد كلماتها	عدد الكلمات الظائية	النسبة	عدد كلماتها الضادية	النسبة
.100	العاديات	40	00	00	01	2.50
.101	القارعة	36	00	00	01	2.78
.102	التكاثر	28	00	00	00	00
.103	العصر	14	00	00	00	00
.104	الهمزة	33	00	00	00	00
.105	الفيل	23	00	00	01	4.35
.106	قريش	17	00	00	00	00
.107	الماعون	25	00	00	01	4.00
.108	الكوثر	26	00	00	00	00
.109	الكافرون	26	00	00	00	00
.110	النصر	19	00	00	00	00
.111	المسد	32	00	00	00	00
.112	الإخلاص	15	00	00	00	00
.113	الفلق	23	00	00	00	00
.114	الناس	20	00	00	00	00

2- **<u>احصاء الجذور :</u>** ستكون الدراسة مقتصرة على عدد الجذور الثنائية والثلاثية المستعملة في كل حرف دون التوسع في ذلك و بداية سنرى مرتبة الضاد في الجذور القرآنية.

1- <u>مرتبة الضاد في الجذر :</u> نجد حسب الجدول رقم (03) :

ضـ××			×ضـ×		××ض		
ضعف	**ضاز**	**ضلّ**		**فَـَـَ ضَّـَـلْ**	**رَضِـَـعَ**	**بَيَّضَ**	**فَوَّـَـضَ**	**فَاضَ**
ضَيَّع	**ضَبْح**	**ضاء**		**مَضَغَ**	**خَضَعَ**	**بَغْضَ**	**دَحَضَ**	**فَرَضَ**
ضلّ	**ضَحَكَ**	**ظَلَمَ**		**هَضَم**	**خَضِر**	**قُبِضَ**	**نقَضَ**	**مرض**
ضَرّ	**ضَيِّق**	**ضَيْفِ**		**بِضَعَ**	**غضب**	**قَبِّضَ**	**نَضَجَ**	**خَاضَ**

ضَرَّعَ	ضَحًى	ضغن		وضن	غَضّ	قْرَضَ	نَضْرَ	عَرَضَ
ضَاقَ	ضَاعَ	ضَرِبَ		وَضَعَ	غَمَّضَ	وفض	رَكَضَ	غِيضَ
ضَاهى	ضَنَك	ضَمّ		رَضَي	عَضِلَ	وعَضُّ	رَوْضَ	حَاضِ
عَرَضَ	ضن	ضَمَرَ		حَضَرَ	عَضُّ	فَاضَ	خَفَضَ	حَرِّضِ
عَرَّض	عَضِلَ	عَضُّ		قَضَى				
المجموع	27			17		24		

2- مرتبة الظاء في الجذر

جدول(4):مرتبة الظاء في الجذر و الأحرف المتشكلة معها

مرتبة الظاء	ظ××	×ظ×	××ظ
1	ظل	حظ	حفظ
2	ظن	فظ	شوظ
3	ظعن	حظر	غلظ
4	ظفر	عظم	غيظ
5	ظلم	كظم	لفظ
6	ظمأ	لظي	وعظ
7	ظهر	نظر	يقظ
المجموع	07	07	07
المجموع	08	09	09

من الجدولين (03) و (4) يمكن أن نلاحظ جليا مدى التفاوت في استخدام الجذور بين الضاد والظاء , حيث يقدر عدد جذور الضاد بين الثنائي والثلاثي إلى 74 جذرا , في حين لم يستعمل إلاّ 21 جذرا بالنسبة للظاء

كان توزيع الجذور الظاية متساوي حسب مرتبة الظاء (تصدر الجذر , أو في وسطه , أو في الأخير) على عكس الجذور الضادية التي تفاوتت في توزيع الجذور (27 تصدرت فيه الضاء الجذر , 17 توسطته و24 في آخره) .

كان تشكل الضاد مع الحروف أكثر منه بالنسبة للظاء وهذا واضح من عدد الجذور لكل منهما.

نظائر الضاد و الظاء : و قد كان توزع هذه النظائر على القرآن بمستويات مختلفة هي كالتالي حسب اختلاف السورة و الآية :

أ- السورة نفسها و الآية نفسها :

نجد ذلك في القرآن مرة واحدة في قوله تعالى : « فبما رحمة من الله لنت لهم, ولو كنت **فظا** غليظ القلب **لانفضوا** من حولك, فاعف عنهم و استغفر لهم و شاورهم في الأمر, فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين »[97] ،فكان التناظر في هذه الآية بين الجذرين (فظ) و (فض) الذي ورد في الآية بصيغة انفعل (انفض).

ب-السورة نفسها و الآيتان متتابعتان :

وردت في القرآن ثلاث مرات : الأولى في قوله تعالى:« أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون, إن هم إلا كالأنعام,بل هم أضل سبيلا * ألم تر إلى ربك كيف مد الظل و لو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا»[98] فكان التناظر بين الجذرين (ظل) و(ضل) الذي ورد بصيغة التفضيل أفعل (أضل)

والثانية في قوله تعالى : « وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة»[99] فكان التناظر بين الجذرين (نظر) و(نضر)، وكل منهما ورد بصيغة اسم الفاعل الملحقة به هاء التأنيث: فاعلة (ناظرة, ناضرة)

والثالثة في قوله تعالى : «على الأرائك ينظرون * تعرف في وجوههم نضرة النعيم»[100] فكان التناظر للمرة الثانية بين الجذرين (نظر) و (نضر) الذي ورد بصيغة مصدر المرة فعلة (نضرة).

جـ - السورة نفسها و الآيتان متقاربتان :

وردت في القرآن بنظيرين (حظر/حضر) و (ظل/ضل) حيث ورد الأول مرة واحدة في قوله تعالى : «و نبئهم أن الماء قسمة بينهم, كل شرب محتضر »[101]

وقوله في السورة نفسها بعد آيتين من المذكورة سلفا: «إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر»[102]

أما فيما يخص الجذرين (ظل وضل) فقد كانت نظائرهما كثيرة ومتعددة حتى في السورة الواحدة واعتمدنا فقط ما فرق بين الآيتين من آيات لا يتجاوز عددها الستة،فوجدنا عشرة أمثلة في القرآن أولها قوله تعالى : « والذين امنوا و عملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا»[103]، و نجد بعدها بآيتين قوله تعالى : « ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك و ما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به

---

[97]- سورة آل عمران , الآية 159

[98]- سورة الفرقان ، الآيتان 44-45

[99]- سورة القيامة ، الآيتان 22-23

[100]- سورة المطففين، الآيتان 23-24

[101]- سورة القمر، الآية28

[102]- سورة القمر ، الآية 31

[103]- سورة النساء ، الآية 57

ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا »[104] ، و نكتفي بمثال واحد و نورد جدولا نثبت فيه باقي الأمثلة التي وردت في القران:

جدول(05) : نظائر ظل و ضل في الآيات المتقاربة

اسم السورة	الأعراف	الرعد	النحل	طه	الفرقان	الروم	يس	الزمر	المجموع
رقم آية الجذر(ظل)	171/160	35	81	97	45	51	56	16	9
رقم آية الجذر(ضل)	**178/155**	33	87	92	42	53	62	22	9

د- السورة نفسها و الآيتان متباعدتان :

لم نجد من النظائر إلا الجذرين (ظل و ضل) حيث ورد كثيرا في السورة الواحدة و في آيات متباعدة يفصل بينها اكثر من ست آيات.

و لم نلغ الآيات المتقاربة المذكورة سابقا إذا كانت في السورة نظائر لها في آيات متباعدة.وأولها قوله تعالى:«وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى, كلوا من طيبات ما رزقناكم,وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون»[105]و قوله قبل ذلك بأربعين آية :

« أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى, فما ربحت تجارتهم و ما كانوا مهتدين »[106]

و سنورد باقي الأمثلة في جدول أيضا :

جدول(06): نظائر (ظل وضل) في الآيات المتباعدة

اسم السورة	رقم ايات الجذور (ظل)	رقم ايات الجذور (ضل)
البقرة	210/57	282/198/175/108/26/16
النساء	57	/116/113/88/77/60/44 176/167/143/136/119

104- سورة النساء ، الآية 60

105- سورة البقرة ، الآية 57 -

106- سورة البقرة، الآية 16.

الأعراف	171/160	/149/61/60/53/38/30 186/179/178/155
الرعد	35/15	33/27
الحجر	14	56
النحل	81/58/48	125/93/87/37/36/25
طه	97	123/92/85/79/52
الفرقان	45	44/42/34/29/17/09
الشعراء	189/71/04	99/97/86/20
القصص	24	85/75/50/15
الروم	51	53/29
لقمان	32	11/16
فاطر	21	08
يس	56	62/47/24
الزمر	16	41/37/36/23/22/08
الشورى	33	46/44/18
الزخرف	17	40
الواقعة	65/43/30	92/51

هـ- السورتان مختلفتان :

ووردت فيها ستة نظائر هي : (حظ/حض) و(حظر/حضر) و (ظل /ضل) و (ظن/ضن) و (غيظ/غيض) و (نظر /نضر). و قد كان عدد ورودها كبيرا باعتبار اختلاف السورة و لذلك تعذر علينا أن نورد جميع, و سنورد مثالا عن كل نظير من النظائر :

- (حظ/حض) : قال تعالى في سورة فصلت : « وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم »[107], وقال في سورة الماعون : « ولا يحض علـى طعام المسكين »[108]

-(حظر/حضر) : قال تعالى في سورة الإسراء : «كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا»[109]

و قال في سورة التكوير : «علمت نفس ما أحضرت»[110]

-(ظل/ضل) : هناك سور وردت فيها نظائر (ظل وضل)،وقد أوردناها سالفا،وهناك سور لم يرد فيها إلا جذر واحد من الجذرين وهي ما قصدناه بالسورتين المختلفتين .

قال تعالى في سورة الإنسان : «و دانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا» [111]

و قال في سورة الفاتحة : «صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم و لا الضالين» "[112]

-(ظن / ضن) قال تعالى في سورة المطففين : «ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون»[113]

و قال في سورة التكوير وهي المرة الوحيدة التي يرد فيها الجذر (ضن) في القران بأكمله«وما هو على الغيب بضنين»[114]

-(غيظ/غيض) : قال تعالى في سورة الشعراء : «وإنهم لنا لغائظون»[115]

و قال في سورة هود : «و قيل يا أرض ابلعي ماءك و يا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين»[116]

-(نظر/نضر) : قال تعالى في سورة الغاشية : «أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت»[117]

و قال في سورة الإنسان : « فوقاهم الله شر ذلك اليوم و لقاهم نظرة و سرورا »[118]

و قد كانت هذه كل الاحتمالات الممكنة في توارد النظائر حسب اختلاف السورة والآية،وقد حصرنا كل الأمثلة المتواجدة في القرآن وأوردناها باستثناء أمثلة النوع الأخير لكثرتها، فسردها كلها يجعل الأمر سردا للجذور الظائية والضادية الواقعة في القرآن الكريم، و هذا الأمر ليس صعبا على من يريده،والرجوع إلى فهارس الألفاظ القرآنية يفي منها بالغرض.

تأثير المشكلة في القراءات القرآنية :

حاول العلماء منذ ظهور المشكلة أن يجدوا لها حلا وذلك من باب اضطلاعهم بمسؤولياتهم وحملهم لرسالة الحفاظ على اللغة ومنها على الدين، ولكن محاولات العلماء كانت تصب في جوانب مختلفة كل حسب ما يراه مناسبا لحل المشكلة، فمنهم من درس المشكلة على مستوى

---

[107] -سورة فصلت ، الآية 35

[108] -سورة الماعون ، الآية 3

[109] - سورة الإسراء ، الآية 20

[110] - سورة التكوير ، الآية 14

[111] - سورة الإنسان ، الآية 14

[112] - سورة الفاتحة ، الآية 7

[113] - سورة المطففين ، الآية 4

[114] - سورة التكوير ، الآية 24

[115] - سورة الشعراء ، الآية 55

[116] - سورة هود ، الآية 44

[117] - سورة الغاشية ، الآية 17

[118] - سورة الإنسان ، الآية 11

القرآن , ومنهم من درسها بصفة عامة , ومنهم من درسها صوتيا , وتعددت الحلول بتعدد الاتجاهات , فمنهم من حصر الظاءات , ومنهم من حصر الظاءات والضادات , ومنهم من أصرّ على معرفة مخرجيهما لتفادي الوقوع في الخطأ.

هذا الخلط بين الحرفين رغم انتشاره وشيوعه بين العرب وغيرهم من المسلمين في وقت مبكر إلا أن تجسده على مستوى النص القرآني لم يظهر إلا في كلمة واحدة في سورة التكوير و هي قوله تعالى : « وما هو على الغيب بضنين »[119]، فقد قُرأت بالضاد وبالظاء, وفي هذا الجزء سندرج دلالة نظائر الضاد والظاء كل على حدا لنوضح اختلاف المعنى باختلاف القراءة وما يترتب على ذلك ولقد اعتمدنا في هذا على كتاب التمهيد في علم التجويد لابن الجزري ابتداء من الصفحة 209:

- **الحظ** : ومعناه النصيب وقد ورد في ستة مواضع من القرآن , أما **الحض** وهو التحريض فقد وقع في ثلاثة مواضع (الحاقة أية 34 , الماعون الآية 3, والفجر الآية 18)
- **الغيظ** : الامتلاء والحنق , وهو شدة الغضب , ووقع في إحدى عشر موضعا في القرآن أما **الغيض** فمعناه التفرقة ووقع في موضعين﴿ وغيض الماء ﴾هود 4 و في سورة الرعد أية 8
- **الظن** وهو تجويز أمرين أحدهما أقرب إلى الآخر , ووقع في سبعة وستون لفظا , أما **ضنين** فيهني بخيل وقد قرأه الكسائي وأبو عمرو بالمعنى الأول وقرأه الباقون بالمعنى الثاني
- **النظر** : هو من نظرت الشيء أنظره , والنظير هو المثيل , أما **النضر** فمعناه الحسن لأنه مشتق من النضارة , ووقع منه في القرآن ثلاث مواقع , القيامة 22 , الإنسان آية 11, وفي المطففين 24 .
- **ظل** : دام على فعل الشيء , وهي من أخوات كان , ووقع من في القرآن تسعة ألفاظ موزعة على السور التالية : الحجر الآية 14, النحل الآية 58, الزخرف الآية 17, طه الآية 97, الشعراء الآيتين 4,81, الروم الآية 51, الشورى الآية 23, الواقعة الآية 65.أما **الضلال** فهو ضد الهدى في سورة الأنعام الآية 24 في قوله : ﴿ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴾ وبمعنى البطالة والتغيب في قوله﴿ أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ ﴾ السجدة الآية 10
- **الحظر** : معناه المنع والحيازة ووقع في موضعين من القرآن , في سورة الاسراء الآية 20 وفي سورة القمر الآية 31 , أما **الحضر** بالضاد فمعناه الاتيان إلى المكان , وهو ضد الغيبة , والمعنى بينهما (الحظر والحضر) مختلف تماما .
- **الفظ**: هو الرجل الكريه الخلق , وجاء في موضع واحد من القرآن في سورة آل عمران الآية 59. أما **الفض** فهو الفك والتفرقة , ووقع في موضعين من القرآن في سورة آل عمران الآية 159 وسورة الجمعة الآية 11.

---

[119] - سورة التكوير ، الآية 24

الخاتمة

لَعَلَّ أهم ما لَفَت انتباهنا في القرآن الكريم هو الاستعمال القرآني للأحرف العربيَّة ، ومن خلال بحثنا هذا تمّ الوصول إلى النتائج التالية ، :

- كان حرف الظَّاء قليلَ الحَظِّ في الاستعمال والتَّوظيف مقارنة بالحروف الباقية عامّة وبالضاد خاصة ، وقد كانت قِلَّتُه ملحوظةً ومثيرةً، خاصَّة على مستوى توزعه على أسماء السور، وفَوَاتحها، وخَوَاتمها، وفَوَاصلها، باعتبارها أهم مُميزات السُّورة القرآنيَّة
- إضافة إلى قِلَّة الجُذُور المعجميَّة، التي دخل الظاء في تَشْكيلها، وقِلَّة الحُقُول الدلاليَّة، وليس خافيًا ما يَتَمَيَّز به الحرفين من تقارب في الصفات عن باقي الحروف العربيَّة،
- مما سبق يُفهم أن الضاد العربية التي نزل بها القرآن الكريم هي: (مجهورة رخوة مستعلية مُطْبِقة مفخَّمة مستطيلة), تختلف عن الظاء في الاستطالة فلو أتى القارئ بهذه الصفات على كمالها فقد نطق بها صحيحة كما نزل بها القرآن الكريم، والأفضل بل الأحرى أن تُتَلقى كيفيتها الصحيحة من شيوخ الأداء المتصل سندهم بالحبيب المصطفى .
- كما لاحظنا أن توظيف الضاد في القرآن الكريم كان مكثف عكس توظيف الظاء سواء كان ذلك من حيث توزع الأحرف , أو الكلمات , أو الجذور .
- نطق الضاد شبيهة بالظاء يغير اللفظ والمعنى وهذا ما لاحظناه في دلالة نظائر الضاد والظاء.ليُعلم أن الضاد حرف من القرآن، ولا يُقبل فيه نطق إلا ما تواتر واستفاض ونقلته مئات الألسنة وسمعته مئات الآذان ، بل قال بعض العلماء بأن من يقرأ بذلك في الصلاة تبطل صلاته.
- الاختفاء الكلي لكلا الحرفين من السور الأخيرة للقرآن الكريم ولعلّ ذلك يعود لتحقيق الخفة لما يتميّز به الحرفين من قوة في الصوت وشدة في الجرس .
- عدم تكرار الحرفين في اللفظة الواحدة إلاّ في جذر غضّ (يغضضن,أغضضن) بالنسبة للضاد وانعدم ذلك بالنسبة للظاء .

وخلاصة القول لكل ما سبق أنه لا يمكن أن يكون هذا التوظيف المنسق والمتوازن والمنتظم إلا في كلام من قال:(إن كل شيء خلقناه بقدر) سورة القمر، الآية 49.

وكخلاصة لبحثنا هذا ارتأينا أن نقدم بعض الاقتراحات من أجل التمييز بين الحرفين أو سُبُلُ التفريقِ بينهما:

- حفظُ الظاءاتِ , فإنك إذا حفظتَها علمتَ من طريقِ (النظر في البواقي) أن ما خلاها ضاداتٌ . ولابنِ مالكٍ قصيدةٌ في ذلك . وقد نظمَ الحريريّ في (المقامةِ الحلبيةِ) منظومةً في فرقِ ما بينهما.
- كثرةُ النظرِ في بطونِ الكتبِ ، وتصوّرُ الكلمةِ حينَ كتابتِها ؛ فكثيرُ القراءةِ لا يستسيغُ كتابةَ (الظبي) هكذا (الضبي)،لأن الرسمَ الأولَ محفوظٌ في ذهنِه ؛ ومتى عرَضه عليهِ قبِله وأجازَه على خلافِ الثاني , وأفضل كتاب للاطلاع القرآن الكريم .

- تصريفُ الكلمةِ ، وتقليبُها ، ومعرفةُ نظائرِها في الاشتقاقِ ؛ فإذا مرّت عليك كلمة (ظلمات) ، فإن لم تدرِ كيفَ تُكتب تنظرُ إلى معناها ؛ فتدرك أنها من أظلم - يظلم فهو مظلِم (ومثالٌ آخرُ : كلمة (ظِل) , فإنك تعرفها بنظائرها ، كـالظِّلال،المِظلّة.

- شدةُ العنايةِ ، ومحاسبةِ النفس عند كلمةٍ يُشتبَه فيها ، والرجوعُ إلى معاجم اللغةِ لمعرفتِها ثم بانقضاء الزمنِ تجد أنك أحطتَ بالفروقِ بينهما.

قائمة المصادر والمراجع

القـــرآن الكريم

1. ابن الجزري , النشر في القراءات العشر, ج1, مراجعة : على محمد الضباع,(د.ط) , دار الكتب العلمية, بيروت, (د.ت)
2. ابن الجزري, التمهيد في علم التجويد, تح: علي حسين البواب , ط1, مكتبة المعارف, الرياض, 1985 م
3. ابن جني , سر صناعة الإعراب , ج1, تح : حسن هنداوي , ط2, دار القلم دمشق , 1993
4. ابن سينا، أسباب حدوث الحروف، ت:محمد حسان الطيان ويحيى مير علم ط1، دار الفكر، دمشق ، 1983
5. ابن منظور، لسان العرب، ط1، بيروت: 1955م، دار صادر

ابن يعيش , شرح المفصل للزمخشري , ط1 , ج5, دار الكتب العلمية , بيروت

6. الخليل , العين, ج1, تح: عبد الحميد هنداوي, ط1, دار الكتب العلمية, بيروت, 2003
7. سيبويه, الكتاب, ج2, تح:عبد السلام محمد هارون, ط2, دار الكتب العلمية بيروت, 1982م
8. الفيروز آبادي , القاموس ,ج 1-ج4 ، (د.ط) ، دار الجيل، ، بيروت (د.ت)
9.
10. إبراهيم أنيس ,الأصوات اللغوية , ط4, مكتبة الأنجلو المصرية , مصر 1999
11. اسرائيل ولفنسون , تاريخ اللغات السامية , ط1, مطبعة الاعتماد , مصر 1929
12. جان كانيتو, دروس في علم أصوات العربية, تر: صالح القرمادي , نشريات مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية, تونس , 1966
13. حسام البهنساوي , علم الأصوات , ط1, مكتبة الثقافة الدينية , القاهرة 2004م
14. ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري ضبطه وصححه ووضع فهارسه الأستاذ مصطفى السقا وآخرين . ج 1
15. رمضان عبد التواب , التطور النحوي للغة العربية (محاضرات ألقاها المستشرق الألماني براجستراسر) ط2, مكتبة الخانجي , القاهرة , 1993
16. رمضان عبد التواب, مشكلة الضاد العربية و تراث الضاد والظاء, مجلة المجمع العلمي العراقي مج21,ج2
17. سليمان قياض , استخدامات الحروف العربية (معجميا ' صوتيا , صرفيا نحويا، كتابيا), (د.ط) دار المريخ, الرياض, المملكة العربية السعودية, 1998م
18. صبري المتولي , دراسات في علم الأصوات , ط1 , زهراء الشرق و مصر, 2005م
19. عبد المنعم محمد عبد الغني النجار , العلاقة بين الضاد والظاء, مجلة الأزهر, الأعداد : 8,10,11 , مصر , 1987م
20. قاسم بريسم, علم الصوت العربي في ضوء الدراسات الحديثة, ط1, دار الكنوز الأدبية بيروت , 2005م
21. كمال بشر, علم الأصوات ,(د.ط) , دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة 2000م
22. محمود عكاشة , أصوات اللغة , ط1 , الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي القاهرة 2005م

الفهـــرس

1- مقدمـــة

2- الفصل الأول : صفات ومميزات حرفي الضاد والظاء 04

I- صفـــــات الضّـــاد ومميزاتـــــه 04

1- الضاد عند القدامـى **04**

2- الضاد عند المحدثين **11**

3- تفسير المحدثين لاختلاف القدامى في تحديد نقطة إنتاج الضاد 14

II- صفـــــات الظّـــاء ومميزاتـــه.....16

1- الظاء عند القدامـى 17

2- الظاء عند المحدثين 19

III- الضـاد والظاء في النطق السامي و اللهجات الحديثة.....21

1- الضـاد والظاء في اللغات الجزرية (السامية) 21

1-1- في اللغات الجزرية الشمالية 22

1-2 في اللغات الجزرية الجنوبية 23

2- الضـاد والظاء في اللهجات الحديثة 24

3- الفصل الثاني : توظيف الحرفين في القرآن الكريم

(دراسة تطبيقية)

.....32

I – الجانب الاحصـــائي 32

1- الجانب الكمي الإجمالي 32

2- الجانب الكمي التفصيلي 33

II- نظائر الضاد و الظاء 41

III - تأثير المشكلة في القراءات القرآنية 45

(دراسة دلالية)

4- **خاتمـــة** 48

5- **قائمة المصادر والمراجع** 50
6- **الفهــرس** 52